سورة الملك
مكية وهي ثلاثون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ۝٢﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿تَبَٰرَكَ﴾ تعالى وتعاظَمَ عن صفات المخلوقين ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ في تصرفه المُلك والاستيلاء على كل موجود، وهو مالك الملك[1] يؤتيه من يشاء وينزِعه ممن يشاء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من المقدورات ﴿قَدِيرٌ ۝١﴾ قادر على الكمال.

٢- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ خَلَق موتَكم وحياتكم أيها المكلفون ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليمتحِنَكم بأمره ونهيه فيما بين الموت، فيظهر منكم ما عَلِمَ أنه يكون منكم، فيجازيكم على عملكم لا على عِلمِه بكم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ أي أَخلصُهُ وأصوبُهُ، فالخالصُ أن يكون لوجه الله، والصوابُ أن يكون على السُّنةِ، والمرادُ أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وسلَّط عليكم الموتَ الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن

مخلوق، وأما المُلك الذي يفهم منه اسمُهُ المَلِك فهو صفة له أزلي أبدي، فإذا قيل مالك الملك فالمُلك هنا هو المخلوق، وأما إذا قلنا سبحان ذي المُلك فهو المُلك الذي هو صفته تبارك وتعالى.

(١) يقال طَرْف كليل: أي لمن يحقق النظور إليه، ومُعْيٍ من العِيِّ أي الجهل، أي: لم يَرَ شيئًا

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ ﴿٥﴾﴾

على القبيح فَمَا وراءه إلا البعثُ والجزاءُ الذي لا بد منه. وقدَّم الموت على الحياة لأن أقوى الناس داعيًا إلى العمل مَنْ نَصَبَ موتَه بين عينيه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا يُعجزهُ مَن أساءَ العملَ ﴿ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ الستور الذي لا يَيأسُ منه أهلُ الإساءة والزلل.

٣- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ﴾ مطابقةً بعضُها فوقَ بعض والخطابُ في ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ للرسول أو لكل مخاطَب [وقيل في خَلْقِ الرحمٰن للدلالة على أنه] بباهِرِ قدرته هو الذي يخلقُ مثلَ ذلك الخلقِ المتناسب ﴿مِن تَفَٰوُتٍ ۖ﴾ من اختلافٍ واضطراب ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ رده إلى السماء حتى يصح عندك ما أُخبرت به بالمعاينة فلا تبقى شبهةٌ فيه ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ صدوع وشقوق، جمع فَطْرٍ وهو الشَّقُّ.

٤- ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ كَرِّرِ النظرَ مرتين، وقيل: لم يُرد به الاقتصارَ على مرتين بل أراد به التكرير بكثرة، أي كرر نظرك ودققه هل ترى خللًا أو عيبًا ﴿يَنقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلًا، أو بعيدًا مما تريد ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ كليلٌ مُعيٍ[1]، ولم ترَ فيها خللًا.

٥- ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ القُربى، أي: السماءَ الدنيا منكم ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بكواكب مضيئة كإضاءة الصبح، والمصابيحُ: السُّرُجُ فَسُميت بها الكواكبُ، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ﴾ لأعدائكم الذي يُخرجونكم من النور إلى الظلمات، والرُّجُومُ جَمْعُ رَجْمٍ وهو مصدرٌ سُمي به ما يُرجَمُ

من الخلل.

(١) الشهاب في الأصل الشُّعلة من النار، وكذلك القَبَسُ وهو الشعلُ، فشهابُ قَبَسٍ من إضافة

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ ۝٩﴾

به، ومعنى كونها رُجومًا للشياطين أن ينفصل عنها شهابُ قَبَسٍ[١] يؤخذ من نار فيقتل الجنيَّ أو يُخْبِلُه[٢] ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ للشياطين ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا.

٦- ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ ليس الشياطينُ المرجومونُ مخصوصين بذلك ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦﴾ المرجع جهنم.

٧- ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ طُرحوا في جهنم كما يُطرحُ الحطبُ في النار العظيمة ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾ لجهنم ﴿شَهِيقًا﴾ صوتًا منكرًا كصوت الحمار، شُبه حَسِيْسُها[٣] المنكر الفظيعُ بالشهيق ﴿وَهِىَ تَفُورُ ۝٧﴾ تغلي بهم غليانَ المِرْجَل[٤] بما فيه.

٨- ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ تتميز، يعني: تتقطع وتتفرق ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ على الكفار، فجعلت كالمغتاظةِ عليهم استعارةً لشدة غليانها بهم ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة من الكفار ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ مالكٌ وأعوانُه من الزبانية[٥] توبيخًا لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾ رسولٌ يُخوِّفكم من هذا العذاب.

٩- ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ اعترافٌ منهم بعدل الله وإقرارٌ بأنه تعالى

الشيء إلى نفسه.

(١) أي يعودُ مجنونًا.

(٢) أي صوتُ تَلَهُّمِهَا.

(٣) أي القِدْرُ الذي يُسَخَّنُ فيه الماء على النار.

(٤) الزبانية الذين يَزْبِنون الناسَ، أي يدفعوهم، وزبانيةُ جهنم يدفعون أهل النار إليها.

(٥) أي أن الله هو خالق كل أفعالكم وأقوالكم، فكيف لا يعلم ما تسرون وما تعلنون من

﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾

أزاح عِلَلَهم ببعثة الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه ﴿فَكَذَّبْنَا﴾ أي: فكذبناهم ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ مما يقولون مِنْ وَعْدٍ وَوَعيدٍ وغيرِ ذلك ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ أي: قال الكفارُ للمنذِرين: ما أنتم إلا في خطأ عظيم.

١٠- ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ الإنذار سماعَ طالبِ الحَقّ ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي: نعقله عَقْلَ متأمِّل ﴿مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ في جملة أهل النار.

١١- ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ بكفرهم في تكذيبهم الرسُلَ ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ فبعدًا لهم عن رحمة الله وكرامته، اعترفوا أو جحدوا فإن ذلك لا ينفعهم.

١٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ قبل معاينة العذاب ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ للذنوب ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ الجنة.

١٣- ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ روي أن مشركي مكةَ كانوا ينالونَ من رسول الله ﷺ، فيخبره جبريلُ بما قالوه فيه ونالوه منه، فقالوا فيما بينهم: أَسِروا قولَكم لئلا يسمعَ إلهُ محمد، فنزلت، ثم عللَه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ بضمائرها قبل أن تُتَرْجِمَ الأَلسنةُ عنها.

١٤- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ أنكر أن لا يحيط علمًا بالمُضْمَرِ والمُسَرِّ والمُجهَر مَنْ خَلَقَها، وصفته أنه اللطيف، أي: العالم بدقائق الأشياء، الخبيرُ: العالمُ بحقائق الأشياء، وفيه إثبات خلق

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾

الأقوال، فيكونُ دليلًا على خلق أفعال العباد[١].

١٥- ﴿هُوَ﴾ اللهُ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ لَيّنةً سَهلة مُذَلَّلةً لا يَمتَنع المشيُ فيها ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها استدلالًا واسترزاقًا[٢] ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ﴾ من رزق الله فيها ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ وإليه نشوركم[٣]، فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم.

١٦- ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ مَنْ مَلَكوته[٤] في السماء، لأنها مسكن ملائكته، ومنها تنزل قضاياه وكتبُه وأوامره ونواهيه، فكأنه قال: أأمنتم خالقَ السماءِ وَمَلَكَهُ[٥] ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما خسف بقارون ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ تضطرب وتتحرك.

١٧- ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ﴾ حجارة ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ أي: إذا رأيتم المنذَرَ به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم.

١٨- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنْ قَبلِ قومِك ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ أي: إنكاري عليهم إذ أهلكتهم، ثم نبَّه على قدرته على الخسف وإرسال الحاصب بقوله:

أقوالكم وهو خالق لها، وهو استفهامُ إنكار.

(١) استدلالًا على مقاصدكم، وطلبًا للرزق.

(٢) أي مَبْعثكم ومحشركم.

(٣) أي سُلطانُه وعَظَمَته.

(٤) ويقال مَنْ في السماء أي أهل السماء، وهم الملائكة، الملائكةُ قادرون أن يخسفوا بهم الأرض لو أمروا.

(٥) شَرَدَ يَشْرُدُ شُرودًا وشرادًا بمعنى نَفَرَ وخَرَج وفارَقَ وابتعَدَ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾

١٩- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ﴾ جمعُ طائر ﴿فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَافَّاتٍ﴾ باسطاتٍ أجنحتهم في الجو عند طيرانهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ ويضمُمْنَها إذا ضَربنَ بها جنوبَهن ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع عند القبض والبسط ﴿إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾ بقدرته، وكذا لو أمسك حِفظَه وتدبيرَه عن العالم لتهافَتَتِ الأفلاكُ ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ يعلم كيف يخلق وكيف يُدَبِّرُ العجائب.

٢٠- ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ﴾ المعنى: مَن المشار إليه بالنصر غيرُ الله تعالى [إن ابتلاكم الله بعذابه، معناه لا أحد ينصركُم] ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ ما هم إلا في غرور [غرَّهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم].

٢١- ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ أم مَنْ يُشار إليه ويقالُ: هذا الذي يرزقكم إن أمسَك رِزقَه [وهو استفهام بمعنى التقريع والتوبيخ] ﴿بَل لَّجُّوا﴾ تمادَوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾ استكبارٍ عن الحق ﴿وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ وشِرادٍ[1] عنه لثِقَلِه عليهم فلم يتبعوه. ثم ضرب مثلًا للكافر والمؤمن فقال:

٢٢- ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ ساقطًا على وجهه يَعْثُرُ كُلَّ ساعة ويمشي معتسفًا[2] ﴿أَهْدَىٰ﴾ أرشَدُ ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾ مستويًا منتصبًا سالمًا من العثور والخُرور ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ على طريق مستو.

---

(١) متسعكًا متحيرًا لا يهتدي لِوُجهته.

(٢) أي لا يشكرون قليلًا ولا كثيرًا، أما الوجهُ الأول فمعناه قليل منكم يُسلم فيكون شاكرًا،

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

٢٣- ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ خلقكم ابتداءً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ خصَّها لأنها ءالاتُ العِلْم ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ هذه النِّعَمَ لأنكم تُشْركون بالله ولا تُخْلِصون له العبادةَ، وقيل القِلةُ عبارةٌ عن العَدَم[1].

٢٤- ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ للحساب والجزاء.

٢٥- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: الكافرون للمؤمنين استهزاءً: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الذي تعدوننا به، يعني العذابَ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ في كونه فأعلمونا زمانَهُ.

٢٦- ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ علمُ وقتِ العذاب ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ مُخَوِّفٌ ﴿مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾ أُبَيِّنُ لكم الشرائعُ.

٢٧- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: الوعْدَ، يعني: العذابَ الموعودَ ﴿زُلْفَةً﴾ قريبًا منهم ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ساءَتْ رؤيةُ الوعدِ وجوهَهم بأن عَلَتْها الكآبةُ والمَساءَةُ، وغَشِيَتْها القَتَرَةُ[2] والسَّوادُ ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ القائلون الزبانية ﴿كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ تفتعلون مِنَ الدُّعاءِ، أي تسألونَ تعجيلَه وتقولون: ائتنا بما تَعِدُنا.

وليس معناه أن قليلًا من الكفار يشكرون وهم في كفرهم، لأن الكفرَ والشكرَ لا يجتمعان.

(١) القَتَرَةُ: غَبَرَةٌ يعلوها سوادٌ وظلمةٌ.

(٢) أي منتظرون، والتربص الانتظار.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

٢٨- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾ أماتني ﴿وَمَن مَّعِيَ﴾ مِنْ أصحابي ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ أو أَخَّرَ في ءاجالنا ﴿فَمَن يُجِيرُ﴾ يُنْجي ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ مؤلم، كانَ كفارُ مكةَ يَدْعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك، فأُمِرَ بأن يقول: نحن مؤمنون مُتَرَبِّصون[1] لإحدى الحسنيين، إما أن نَهْلِكَ كما تتمنَوْنَ فننقلبَ إلى الجنة، أو نُرْحَمَ بالنُّصرة عليكم كما نرجو، فأنتم ما تصنعون؟ مَنْ يُجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار؟ لا بدَّ لكم منه.

٢٩- ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي الذي أدعوكم إليه الرحمٰنُ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ صدَّقنا به ولم نكفُرْ به كما كفرتم ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ﴾ فَوَّضنا إليه أُمورنا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ نحن أم أنتم.

٣٠- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائرًا ذاهبًا في الأرض لا تَنالُهُ الدِّلاءُ ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ جارٍ يَصِلُ إليه مَنْ أراده؟

---

(١) الغوائل: جمع غائلة، والغائلة: الفسادُ والشَّر.

سورة القلم
مكية وهي اثنتان وخمسون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿نٓ﴾ الظاهرُ أن المراد به هذا الحَرفُ من حروف المعجم ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ ما كُتِبَ به اللوحُ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ أي: ما يسطُرُهُ الحَفَظَةُ، وجوابُ القَسَمِ.

٢- ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ أي: بإنعامه عليك بالنبوة وغيرها ﴿بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ ما أنت بمجنون منعمًا عليك بذلك.

٣- ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على احتمال [ما تحملَّتَ مِن أثقال النبوة، ومِن أذى الكفار بما ينسبون إليك مما أنت برئ منه من المعايب] والصبر عليه ﴿لَأَجْرًا﴾ لثوابًا ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾ غيرَ مقطوع.

٤- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ قيل هو ما أمره اللهُ تعالى به في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف]، وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان خُلُقُهُ القرءانَ»، أي: ما فيه مِنْ مَكارِمِ الأخلاق.

٥- ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾﴾ عَنْ قَريبٍ ترى ويَرَوْن، وهذا وَعْدٌ له ووعيدٌ لهم.

﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾

٦- ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ المجنونُ، لأنه فُتِنَ أي مُحِنَ بالجُنون، أي: في أي الفريقين منكم المجنونُ فريقِ الإسلام أو فريقِ الكفر؟

٧- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ هو أعلم بالمجانين على الحقيقة، وهم الذين ضلوا عن سبيله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾ هو أعلم بالعقلاء، وهم المهتدون.

٨- ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ تَهييجٌ للتصميم على مُعاصاتهم، وقد أرادوه على أن يعبدَ الله مُدَّةً، وءالهتَهم مدةً، ويكفُّوا عنه غوائلَهم[1].

٩- ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ﴾ لَو تَلينُ لهم [في دينهم بإجابتك إلى إعظام آلهتهم] ﴿فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ فيلينون لك [في عبادة الله تعالى].

١٠- ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثيرِ الحَلِفِ في الحَقّ والباطل، وكفى به مَزْجَرَةً لمن اعتاد الحَلِفَ ﴿مَّهِينٍ ۝١٠﴾ حَقيرٍ في الرأي والتمييز.

١١- ﴿هَمَّازٍ﴾ غَيَّاب طَعَّان مُغتاب ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ نَقَّال للحديث مِن قوم إلى قوم على وجه السِّعاية والإفساد بينهم.

١٢- ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بخيلٍ، والخير: المال، أو مَنّاعٍ أَهلَهُ مِنَ الخير وهو الإسلام، والمراد به الوليدُ بن المغيرة عند الجمهور، وكان يقول لبنيهِ العشرةِ مَنْ أسلمَ منكم مَنعته رِفْدِي[2] ﴿مُعْتَدٍ﴾ مُجاوِزٍ في الظلم حَدَّهُ ﴿أَثِيمٍ ۝١٢﴾ كثيرِ الآثام.

---

(١) الرِّفدُ: العطاءُ والصِّلةُ.

(٢) المثالبُ: العيوب، الواحدةُ مَثْلَبةٌ.

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴿١٧﴾﴾

١٣- ﴿عُتُلٍّ﴾ غليظٍ جافٍّ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد ما عُدَّ له منَ المثالِبِ[١] ﴿زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ دعيّ، وكان الوليد دَعِيًا[٢] في قريش، ليس من سِنْخِهم[٣]، ادعاه أبوه بعد ثماني عَشْرَةَ سنةً من مولده.

١٤- ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي: ولا تُطِعْه مع هذه المثالب لأَنْ كان ذا مال، أي لِيَساره [في المال وكثرةِ بنيهِ] وحَظِّهِ من الدنيا.

١٥- ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القرءانُ ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ [أي أحاديثُ الأولين مِنْ قَبْلِنا وأباطيلُهم].

١٦- ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ سنكويه ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ على أنفِهِ مَهانةً له، وعَلَمًا يُعرف به، وتخصيص الأنف بالذكر لأن الوسمَ عليه أبشعُ، وقيل: خُطِمَ بالسيف يومَ بدر فبقيت سِمَةً على خرطومه.

١٧- ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ امتَحَنَّا أَهلَ مكة بالقَحط والجوع حتى أكلوا الجِيَف[٤] والرِّمَمَ[٥] ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ هم قوم من أهل الصِّلاتِ كانت لأبيهم هذه الجنة بقرية يقال لها ضَرَوان، وكانت على فرسخين من صنعاء، وكان يأخذ منها قوتَ سَنَتِهِ ويتصدقُ بالباقي على الفقراء، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أُولو عِيال، فَحَلفوا لَيَصْرِمُنَّها مُصبحين في السَّدَفِ[٦] خيفةً من

---

(١) قال الفراء: الدّعيّ: المُلْصَقُ بالقوم وليس منهم.
(٢) السِّنْخُ: الأصلُ.
(٣) الجيفةُ: جثةُ الميت إذا أنتنت، والجمع جِيَفٌ.
(٤) الرِّمَّةُ: العِظام البالية، والجمع رِمَمٌ.
(٥) السدف: اختلاط الضوء والظلمة معًا كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار (القاموس ٣/ ١٥١).
(٦) صياصي البقر: قرونُها.

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾

المساكين، ولم يستثنوا في يمينهم، فأَحرَقَ اللهُ جَنتَهم ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ حَلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ ليقطَعُنَّ ثَمَرَها ﴿مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ داخلينَ في الصُّبحِ قبلَ انتشار الفقراء.

١٨- ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ ولا يقولون: إن شاء الله.

١٩- ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ نزلَ عليها بلاءٌ، قيل: أنزل الله تعالى عليها نارًا فأحرقتها ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾﴾ في حال نومهم.

٢٠- ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾ فصارت الجنةُ ﴿كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ كالليل المُظلِمِ أي: احترقت فاسوَدَّت.

٢١- ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ نادى بعضُهم بعضًا عند الصباح.

٢٢- ﴿أَنِ اغْدُوا﴾ باكِروا ﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي: فأَقْبِلوا على حرثكم باكرين ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ مريدين صِرَامَهُ.

٢٣- ﴿فَانطَلَقُوا﴾ ذهبوا ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يَتَسارُّونَ فيما بينهم لَئِلَّا يَسمَعَ المساكين.

٢٤- ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ أي: الجنةَ ﴿الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ لا تُمَكِّنوه من الدخول.

٢٥- ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ على جِدّ في المَنْعِ ﴿قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ عند أنفسهم على المنع، أو غدوا على تلك الجنة قادرين على صِرَامِها عند أنفسهم.

٢٦- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ أي: جنتَهم مُحترقةً ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾﴾ ضَلَلْنا جنتَنا وما هي بها، لِمَا رأوا من هلاكها، فلما تَأَمَّلوا وعرفوا أنها هي قالوا:

٢٧- ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ حُرِمنا خَيْرَها لجِنايتنا على أنفسنا.

﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

٢٨- ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ أعدَلُهم وخيرُهم: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ لولا تذكرون اللهَ وتتوبون إليه من خُبْثِ نيتكم، كأنَّ أوسَطَهم قال لهم حين عَزَموا على ذلك: اذكروا اللهَ وانتقامَهُ من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصَوْهُ فعيَّرَهم ولهذا:

٢٩- ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم إلى التكلم به أولًا، وأقروا على أنفسهم بالظلم في منع المعروف، ونَزَّهُوهُ عن أن يكون ظالمًا.

٣٠- ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يَلُومُ بعضُهم بعضًا بما فعلوا من الهَرَب من المساكين، ويُحيلُ كلُ واحد منهم اللائِمَةَ على الآخر، ثم اعترفوا جميعًا بأنهم تجاوزوا الحد بقوله:

٣١- ٣٢- ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾﴾ بمنع حق الفقراء ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ﴾ من هذه الجنة ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ طالبون منه الخيرَ راجونَ لعفوه عن مجاهد: تابوا فأُبدلوا خيرًا منها.

٣٣- ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ﴾ أي: مثلُ ذلك العذاب الذي ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سَلَكَ سبيلَهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾ أعظَمُ منه ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ لَمَا فعلوا ما يُفضي إلى هذا العذاب. ثم ذَكرَ ما عنده للمؤمنين فقال:

٣٤- ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ في الآخرة ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ جناتٍ ليس فيها إلا التنعُّمُ الخالصُ بخلاف جنات الدنيا.

٣٥- ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ استفهامُ إنكارٍ على قولهم: لو كان

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾

ما يقول محمدٌ حقًّا فنحن نُعطَى في الآخرة خيرًا مما يُعطَى هو ومن معه كما في الدنيا، فقيل لهم: أفنجعل المسلمين كالكافرين؟! [أي: لا نُسَوِّي بينهم]، ثم قيل لهم على طريقة الالتفات:

٣٦- ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هذا الحُكْمَ الأَعوجَ، وهو التسويةُ بين المُطيع والعاصي، كأن أَمرَ الجَزاءِ مُفَوَّضٌ إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم.

٣٧- ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ من السماء ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ تقرأون في ذلك الكتاب.

٣٨- ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ إن ما تَختارونَهُ وتَشتهونَه لكم، [أي هل عندكم كتاب من السماء تقرأون فيه ذلك؟!].

٣٩- ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾ عهود مؤكدة بالأَيمان ﴿بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ تبلغ ذلك اليومَ وتنتهي إليه وافِرةً لم تَبطُل منها يمينٌ ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ به لأَنْفُسِكُم [أي هل] أقسمنا لكم بأيمانٍ مُغَلَّظَةٍ [في أَنَّ لكم في الآخرة ما تحكمون به لأَنفسكم؟].

٤٠- ﴿سَلْهُمْ﴾ أي المشركينَ ﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحُكمِ ﴿زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ كفيلٌ بأنه يكونُ ذلك.

٤١- ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ ناسٌ يشاركونهم في هذا القول ويذهبونَ مَذهَبَهم فيه ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ في دعواهم، يعني أنه لا كتابَ لهم ينطق به، ولا عهدَ لهم به عند الله، ولا زعيمَ لهم يَضمن لهم من الله بهذا.

٤٢- ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ الكشف عن الساق عبارة عن شدة الأمر

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

وصعوبة الخَطْبِ [أي:] يوم يشتد الأمرُ ويصعُبُ، ولا كشفَ عَمةَ ولا ساقَ، كما نقول للأَقطَعِ الشحيحِ يَدُهُ مَغلولةٌ، ولا يَدَ ثمةَ ولا غَلَّ وإنما هو كناية عن البخل. ﴿وَيُدْعَوْنَ﴾ أي: الكفارُ ثمةَ ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ لا تكليفًا، ولكن توبيخًا على تركهم السجودَ في الدنيا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ذلك لأن ظهورهم تصير كصَياصِي البقر[1] لا تنثني عند الخفض والرفع.

٤٣- ﴿خَٰشِعَةً﴾ ذليلةً ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي يُدْعَونَ في حال خُشوعِ أَبصارهم ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يَغشاهم صَغَارٌ ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ﴾ على أَلسُنِ الرسل ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ وهم أَصِحَّاءُ فلا يسجدون، فلذلك مُنعوا عن السجود ثَمَّ.

٤٤- ﴿فَذَرْنِى﴾ يقال: ذرني وإياه، أي: كِلْهُ إليَّ فإني أَكفيكَهُ ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ بالقرءان، والمراد كِلْ أمرَه إليّ، فإني عالم بما ينبغي أن يُفعلَ به، مُطِيقٌ له، ولا تَشغَلْ قلبَكَ بشأنه، وتوكّل عليَّ في الانتقام منه، تَسليةٌ لرسول الله ﷺ، وتهديد للمكذبين ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سَنُدْنيهم من العذاب درجةً درجةً، واستدراج الله تعالى العُصاةَ أن يَرزُقهم الصحةَ والنعمةَ فيجعلون رزقَ الله ذريعةً إلى ازدياد المعاصي ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج.

٤٥- ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ وأُمهِلُهم ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ قويٌّ شديدٌ، فَسَمَّى إحسانَه وتمكينَهُ كيدًا كما سماهُ استدراجًا لكونه في صورة الكيد حيث

---

(١) الحنفية يُعبرون بالزَّلة عما هو أقل من المعصية مما يعاتَبُ عليه.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾

كان سببًا للهلاك. والأصل أن معنى الكَيدِ والمَكرِ والاستدراجِ هو الأَخذُ مِنْ جِهةِ الأَمْنِ، ولا يجوز أن يُسمى الله كائدًا وماكرًا ومستدرجًا.

٤٦- ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ غَرامَةٍ ﴿مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فلا يُؤمنون، استفهامٌ بمعنى النفي، أي: لستَ تطمَعُ أجرًا على تبليغ الوحي، فيثقُلَ عليهم ذلك، فيمتنعوا لذلك.

٤٧- ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: اللوحُ المحفوظ عند الجمهور ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ منه ما يَحكُمونَ به.

٤٨- ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخيرُ نُصرتك عليهم، لأنهم وإن أُمهلوا لم يُهْملوا ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ كيونُسَ عليه السلام في العَجَلَةِ والغَضب على القوم حتى لا تُبتلَى بِبَلائِه، والوقفُ على الحوت لأن إذ ليس بظرفٍ لما تَقَدَّمَهُ، إذ النداءُ طاعةٌ فلا يُنهَى عنه، بل مفعولُ محذوفٍ أي اذكُرْ ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا ربه في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الأنبياء] ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ مملوء غيظًا [على قومه، مَغمومٌ مهموم].

٤٩- ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ﴾ رَحمةٌ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ لولا أن الله أنعم عليه بإجابة دعائه وقَبولِ عذره ﴿لَنُۢبِذَ﴾ [لَطُرِحَ] من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالفَضاءِ [مِنَ الأرض] ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ معاتب بِزَلَّتِهِ[1]، لكنه رُحم فَنُبِذَ غيرَ مذموم.

---

(١) أي غضبًا بعيون المُبغِضِ المعادي.

﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

٥٠- ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ اصطفاه لدُعائِهِ وَقَبولِ عُذرِهِ ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبقَ له زَلة.

٥١- ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ قارَبَ الكفارُ من شِدة نَظَرهم إليك شَزْرًا[١] بعيون العداوة أن يُزيلوك بأبصارهم عن مكانك أو يُهلكوك لشدة حَنَقِهم[٢] عليك. وكانت العينُ في بني أَسَدٍ، فكان الرجل منهم يتجَوَّعُ ثلاثةَ أيام فلا يَمُرُّ بهِ شيءٌ فيقول فيه: لم أرَ كاليوم مثلَه إلا هَلَكَ، فأُريدَ بعضُ العَيَّانِينَ على أن يقولَ في رسول الله ﷺ مثلَ ذلك، فقال: لم أر كاليوم مثلَه رجلًا، فعَصَمَه الله من ذلك وفي الحديث: «**العين حَقٌّ**»[٣]، وعن الحسن: رُقية العينِ هذه الآية، ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرءانَ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسدًا على ما أُوتيتَ منَ النبوة ﴿إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾﴾ إن محمدًا لمجنون حَيْرَةً في أَمره وتنفيرًا عنه.

٥٢- ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرءانُ ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ وَعْظٌ ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ للجِنّ والإنس، يعني أنهم جَنَّنوه[٤] لأَجْلِ القرءانِ، وما القرءانُ إلا موعظةٌ للعالمين، فكيف يُجَنَّن مَنْ جَاءَ بمثله.

---

(١) الحَنَقُ: شدَّةُ الاغتياظ.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) أي نسبوا إليه الجنون.
(٤) أي بحقيقتها، والكُنْهُ جوهر الشيء وحقيقتُه.

سورة الحاقة
مكية وهي اثنتان وخمسون ءاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿۞ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿۞ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾﴾ الساعةُ الواجبةُ الوقوعِ الثابتةُ المجيءِ التي هي ءايةٌ لا رَيبَ فيها، مِنْ حَقَّ يَحِقُّ بالكسر أي وَجَبَ.

٢- ﴿مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾﴾ أَيْ أَيُّ شَيءٍ هي؟ تفخيمًا لشأنها وتعظيمًا لِهَوْلها، أي حَقُّها أن يُستفهم عنها لعِظَمها.

٣- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ وأَيُّ شيء أَعلَمَك ﴿مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾﴾ [مبالغةٌ في التهويل]، يعني: أَنك لا عِلمَ لك بكُنْهِهَا[1] ومَدَى عِظَمها، لأنه مِنَ العِظَم والشدة بحيث لا تبلغُهُ دِرايةُ المخلوقين.

٤- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ أي: بالحاقَّة، فَوُضعَتِ القارعةُ موضِعَها لأنها من أسماءِ القيامة وسُميت بها لأنها تَقْرَعُ[2] الناسَ بالأَفزاع والأَهوال، وَلَمَّا ذَكَرها وفَخَّمها أَتبعَ ذِكرَ ذلك ذِكرَ مَنْ كَذَّبَ

---

(١) أي تضربُ الناس وتصيبهم، والقارِعَةُ النازِلَةُ الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم من الأهوال والأفزاع.

(٢) قوم نبي الله صالح عليه السلام، وثمودُ اسم أبيهم الأكبر، وكانت مساكنهم بين الحجاز

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴿٧﴾﴾

بها وما حَلَّ بهم بسبب التكذيب تذكيرًا لأهل مكة وتخويفًا لهم من عاقبة تكذيبهم.

٥- ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ[١] فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ بالواقِعَةِ المُجاوِزَةِ لِلحَدِّ في الشدة. واختلف فيها، فقيل الرجفة[٢]، وقيل الصيحة[٣].

٦- ﴿وَأَمَّا عَادٌ[٤] فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ﴾ أي: بالدَّبور لقوله ﷺ: «نُصِرت بالصَّبا وأُهلكت عادٌ بالدَّبور[٥][٦] ﴿صَرْصَرٍ﴾ شديدة الصوت، من الصَّرَّة: الصَّيحةِ، أو باردةٌ، مِنَ الصَّرِّ كأنها التي كُرِّر فيها البردُ وكَثُرَ فهي تُحرق بشدة بردها ﴿عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ شديدةِ العَصْفِ، أو عَتَتْ على خُزَّانها فلم يَضبطوها[٧] بإذن اللهِ غضبًا على أَعداءِ الله.

٧- ﴿سَخَّرَهَا﴾ سلَّطها ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ وكان ابتداءُ العذاب يومَ الأَربعاء ءاخِرَ الشهر إلى الأربعاء الأخرى ﴿حُسُومًا﴾ أي

والشام.

(١) الزلزلة الشديدة التي زلزلتِ الأرضَ تحت أقدامهم وخلعت قلوبهم ومزقتها في صدورهم بعدما عقروا الناقة التي أمروا أن لا يمسوها بسوء.

(٢) أي أتتهم صيحة من السماء، قيل فيها صوتُ كلِّ شيء له صوتٌ في الأرض فمزقت قلوبهم في صدورهم.

(٣) عادٌ: قومُ نبي الله هود عليه السلام، وسيأتي ذكرهم في تفسير سورة الفجر.

(٤) رواه البخاري.

(٥) الدَّبورُ: الريحُ الغربية التي تهب من دُبُرِ الكعبة من المغرب، بخلاف الصبا ويقال لها القَبول، وهي تَهب من جهة باب الكعبة من المشرق، ونصر اللهُ نبيَه يوم الخندق بريح الصبا، الريح الشرقية، فكفأت قدورَهم، ونزعت خيامهم حتى أظعنتهم.

(٦) أي خرجت في ذلك الوقت بغير مقدار بأيدي الملائكة.

(٧) كقوم نوحٍ وكعادٍ وثمودَ.

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

متتابعةً لا تنقطعُ، تمثيلًا لتتابعها بتتابع فِعلِ الحاسِمِ في إعادةِ الكَيّ على الداءِ كَرةً بعد أخرى حتى ينحسِمَ، وجاز أن يكونَ مصدرًا أي: تَحسِم حسومًا، بمعنى: تستأصلُ استئصالًا ﴿فَتَرَى﴾ أيها المخاطَبُ ﴿ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾ في مَهَابِّها، أو في الليالي والأيام ﴿صَرْعَىٰ﴾ جمعُ صَريع ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ أُصولُ ﴿نَخْلٍ﴾ جمعُ نخلة ﴿خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ ساقطة أو بالية، [أي خَلَت بسبب البِلَى والفساد].

٨- ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ من نفس باقية.

٩- ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ ومَنْ تَقدَّمه من الأمم[1]، ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ قُرى قوم لوطٍ فهي ائتُفِكَت أي انقَلَبَت بهم [حتى صار عاليها سافلَها] ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾﴾ بالخطأ، أو بالفِعلة، أو بالأفعال ذات الخطأ العظيم.

١٠- ﴿فَعَصَوْا۟﴾ أي: قومُ لوطٍ ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ لوطًا ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ شديدةً زائدةً في الشِّدةِ[2] كما زادت قبائحُهم في القُبحِ.

١١- ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ ارتفعَ وقتَ الطُّوْفان على أعلى جبل في الدنيا خمسة عَشَرَ ذراعًا ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ أي ءاباءكم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ في سفينة نوح عليه السلام.

١٢- ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: الفِعلةَ، وهي إنجاءُ المؤمنين وإغراقُ الكافرين، [أو لنجعل السفينة التي حملناكم فيها] ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عِبرةً وعِظة ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ وتحفَظَها ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ حافظةٌ لما تَسْمَعُ، قال قتادة: وهي أُذُنٌ عَقَلَتْ عن الله وانتفعت بما سمعت.

---

(١) من رَبَا يربو إذا زاد.

(٢) كثيبًا: رملًا مجتمعًا، ومَهيلًا أي: سائلًا متناثرًا بعد اجتماعِهِ كما إذا حُرِّك أسفلُه فانهلَ

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾

١٣- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣﴾ هي النفخةُ الأُولى ويموتُ عندَها الناس، والثانيةُ يُبعثون عندَها.

١٤- ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾ رُفِعَتا عن مَوضِعِهما ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤﴾ دُقتا وكُسرتا، أي: ضُربَ بعضُها ببعض حتى تَندَقَّ وترجعَ كثيبًا مَهيلًا وهباءً منبثًا[1].

١٥- ﴿فَيَوۡمَئِذٖ﴾ فحينئذ، [أي: إذا نُفِخَ في الصور] ﴿وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥﴾ نزلتِ النازلةُ، وهي القيامة.

١٦- ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ فُتِّحَت أبوابًا، [وقيل: تصدَّعت] ﴿فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦﴾ مُسْترخيةٌ ساقطةُ القوةِ بعد ما كانت محكمةً.

١٧- ﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ والملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ جوانِبِها، لأنها إذا انشقت وهي مَسْكن الملائكة يلجأون إلى أطرافها ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ﴾ فوقَ المَلَكِ الذين على أرجائها ﴿يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ منهم واليومَ تَحمِلُه أَربعةٌ وزيدت أربعةٌ أُخَر يومَ القيامة، وعن الضَّحَاكِ: ثمانيةُ صفوفٍ، وقيل ثمانيةُ أَصنافٍ.

١٨- ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ﴾ للحساب والسؤال، شُبِّهَ ذلك بعَرْض السلطانِ العَسْكَرَ لِتَعَرُّفِ أَحواله ﴿لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾ سَرِيرةٌ وحالٌ كانت تَخفَى في الدنيا، وفي الحديث: «**يُعرَضُ الناسُ يومَ القيامةِ ثلاثَ عَرَضَاتٍ فأما عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ ومَعَاذِيرُ، وأما الثالثةُ فَعِنْدَها تطيرُ الصُّحُفُ فيأخذُ الفائزُ كتابَهُ بيمينِهِ والهالكُ كتابَهُ بشِمالِهِ**».

من أعلاه، وهباءً منبثًا أي: غبارًا منتشِرًا.

(١) يقال صَلَى اللحمَ وغيرَهُ يَصْليهِ صَلْيًا شواه، وصَلَيتُ اللحمَ بالتخفيف على وجه الصلاحِ

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾

١٩- ﴿فَأَمَّا﴾ تفصيلٌ للعَرْض ﴿مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ سرورًا به لِمَا يَرى فيه من الخيرات خِطابًا لجماعته ﴿هَآؤُمُ﴾ أي: خذوا ﴿ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ تقديره: هاؤم كتابيَ اقرؤوا كتابيه والهاء في كتابِيَهْ وحِسَابِيَهْ ومالِيَهْ وسُلطانِيَهْ للسَّكْت.

٢٠- ﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾ عَلِمْتُ [وأيقنت واعتقدتُ، وليس معناه الظنُّ الذي هو تجويز الوقوع] ﴿أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ مُعاينٌ حِسَابِيْ.

٢١- ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ ذات رِضًا يَرضَى بها صاحبها.

٢٢- ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ رفيعةِ المَكانِ، أو رفيعةِ الدرجات، أو رفيعة المباني والقُصور.

٢٣- ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ثِمارُها قريبةٌ من مُريدِها يَنالُها القاعدُ كالقائم يقال لهم:

٢٤- ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾ أكلًا وشُربًا هنيئًا لا مَكروهَ فيهما ولا أَذى ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ بِما قَدَّمتُم منَ الأعمال الصالحة ﴿فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ الماضيةِ مِنْ أَيام الدنيا، وعن ابن عباس: هي في الصائمين، أي كُلوا واشربوا بَدَلَ ما أَمسكتم عن الأكل والشُرب لوجهِ الله، [وقيل: هي على العموم].

٢٥- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [أي: الكافر الذي يُعطَى كتابه بشِماله وفيه سيئاته كلُّها] ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ لِمَا يَرَى فيها من الفضائح.

٢٦- ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ أي: يا ليتني لم أَعلَمْ ما حِسَابِيْ.

﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤﴾

٢٧- ﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾ يا لَيتَ المَوتة التي مِتُّها ﴿كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧﴾ أي: القاطِعَةَ لأَمري فلم أُبعَثْ بعدَها ولم أَلقَ ما أَلقَى.

٢٨- ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨﴾ أي: لم ينفعني ما جَمعتُه في الدنيا شيئًا.

٢٩- ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩﴾ مُلكي وتَسَلُّطي على الناس وبقيتُ فقيرًا ذليلًا، فيقول الله تعالى لخَزَنَةِ جهنم:

٣٠- ٣٢- ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠﴾ أي اجمَعوا يديهِ إلى عُنُقِهِ [بالأغلال] ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١﴾ النارَ[1] العظمى، ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا﴾ طولها ﴿سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾ بذراعِ المَلَكِ وقيل لا يَعرِفُ قَدْرَها إلا اللهُ ﴿فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢﴾ فأَدخِلُوهُ، [ولطولها تلتوي عليه من جميع جهاته فيبقى داخلًا فيها مضغوطًا حتى تَعُمَّهُ].

٣٣- ٣٧- ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعليل، كأنه قيل: ما له يُعذَّبُ هذا العذابَ الشديد؟ فأجيب بأنه ﴿كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤﴾ على بَذلِ طعام المسكين، وفيه إشارة إلى أنه كان لا يؤمن بالبعث لأن الناسَ لا يطلبونَ منَ المساكينِ الجزاءَ فيما يُطعمونَهم وإنما يُطعمونَهم لوجهِ الله ورجاءَ الثوابِ في الآخرة، فإذا لم يؤمنْ بالبعث لم يكن له ما يَحْمِلُه على إطعامهم، أي: أنه مع كفره لا يُحَرِّضُ غيرَه على إطعام المحتاجين، وفيد دليل قوي على عُظْمِ جُرْمِ حِرْمان المسكين لأنه

معناه شويتُه، وأما أَصليتُهُ فعَلَى وجهِ الفساد والإحراق، وأصلاةُ النار أدخلَهُ إياها وأَثواهُ فيها، وفي الحديث أن النبي عليه السلام أُتيَ بشاة مَصْلِيَّةٍ أي مَشوية.

(١) قال ابو حيان في البحر المحيط: معناه ولو تقوَّلَ علينا مُتَقَوِّلٌ، ولا يكون الضمير في تقوَّلَ

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

عَطفَه على الكفرِ وجَعَلَه دليلًا وقرينةً له، ولأنه ذكرَ الحَضَّ دون الفعل ليُعلَمَ أن تارك الحَضِ إذا كان بهذه المنزلة فتاركُ الفعلِ أَحَقُّ، وعن أبي الدرداء أنه كان يَحُضُّ امرأَته على تكثير المَرَق لأجل المساكين ويقول: خَلَعْنا نِصفَ السِّلسِلَة بالإيمان فلنخلَعْ نصفَها بهذا. وهذه الآياتُ ناطِقَةٌ على أن المؤمنين يُرحمون جميعًا والكافرين لا يرحمون، لأَنه قَسَمَ الخلق صِنفين، فجعَلَ صِنفًا منهم أَهلَ اليمين ووصفهم بالإيمان فَحَسْبُ بقوله: إني ظننتُ أَني مُلاقٍ حِسابِيَه، وصنفًا منهم أهلَ الشِّمالِ ووصفَهم بالكفر بقوله: إنه كان لا يؤمن بالله العظيم، وجاز أن الذي يعاقَبُ من المؤمنين إنما يعاقَبُ قبلَ أن يُؤتَى كتابَه بيمينه ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ قريب يدفَعُ عنه ويحترِقُ له قَلبُه ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ غُسَالَةِ أَهلِ النار، وأُريدَ به هنا ما يَسيلُ من أَبدانهم مِنَ الصَّدِيدِ والدَّم ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ الكافرونَ أَصحابُ الخطايا.

٣٨- ٤٠- ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ منَ الأجسامِ والأَرضِ والسماء ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ منَ الملائكة والأَرواح، [أي: فأُقسِمُ بكل هذه الأشياء ولا مَزِيْدَةٌ، وقيل في تفسير الآية لا أُقسِمُ لظهور الأمر واستغنائِهِ عن التحقيق بالقَسَم] ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: إن القرءان ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ أي: محمدٍ ﷺ أو جبريلَ عليه السلام، أي: يقولُه ويتكلَمُ به على وَجْهِ الرسالةِ من عندِ الله.

٤١- ٤٧- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ﴾ كما تَدَّعونَ ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ ﴿٤٢﴾﴾ [تأتيه الشياطين ويُلقونَ إليه ما سمعوه من أضاء السماء] كما تقولونَ ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ والقلة في معنى العدم، يقال هذه الأرض قَلَّما تُنبِتُ أي لا تُنبتُ أصلًا، والمعنى: لا تؤمنون ولا تَذَكَّرونَ أَلبتةَ

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿تَنزِيلٌ﴾ [بل] هو تنزيلٌ، لأنه قولُ رسول نُزِّلَ عليه ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ ولو ادعى علينا شيئًا لم نقله[١] ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ لقتلناه صَبْرًا كما يَفعَلُ الملوكُ بمن يَتكذَّبُ عليهم مُعاجَلَةً بالسَّخَط والانتقام، فَصَوَّرَ قَتْلَ الصَّبْرِ بصورته ليكون أَهولَ، وهو أن يؤخَذَ بيدِهِ وتُضْرَبَ رقبته، وخَصَّ اليمينَ لأَن القَتَّالَ إذا أَراد أن يُوقِعَ الضَّرْبَ في قَفاهُ[٢] أَخذَ بيسارهِ وإذا أَرادَ أن يوقِعَه في جِيدِهِ[٣] وأَن يَكفَحَهُ[٤] بالسَّيفِ - وهو أشدُّ على المَصْبورِ[٥] لنظَرِهِ إلى السيفِ - أَخذَ بيمينهِ، ومعنى لأَخذنا منه باليمين لأخذنا بيمينه، وكذا ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ لقطعنا وَتِيْنَهُ[٦]، وهو نياط[٧] القلب إذا قُطِعَ ماتَ صاحبُه ﴿فَمَا مِنكُم﴾ الخطاب للناس أو للمسلمين ﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾ مِنْ زائدةٌ ﴿عَنْهُ﴾ عن قتل محمد، [أو المُتَقَوِّلِ علينا]، ﴿حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ وإن كانَ وَصْفَ أَحَدٍ لأنه في معنى الجماعة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [سورة البقرة].

عائدًا على الرسول لاستحالةِ وقوع ذلك منه عليه السلام، فنحن نمنعُ أن يكون ذلك على سبيل الفَرْضِ في حَقِّهِ عليه الصلاة والسلام.

(١) القفا: مؤخر العنق.

(٢) الجِيْدُ: العُنقُ.

(٣) يكفَحُهُ: يلقاهُ مواجهة، ومنه المكافحة في الحرب: المضاربة تلقاء الوجوه، وجهًا لوجه.

(٤) المصبورُ المحبوس لضرب عنقه، وقيل عن كل مَنْ قُتِلَ في غير معركة ولا حرب ولا خطأ: قُتِلَ صَبْرًا.

(٥) عِرْق لاصِقٌ بالصُّلْب، يَسقي العروقَ كلَّها الدَّمَ، ويستقي مِنَ الفؤاد.

(٦) نِياطُ القلب: عِلاقَتُهُ، وهو العِرْقُ الذي القلبُ متعلقٌ به.

(٧) المواطِنُ: المواقفُ، أي: مواقفُ يوم القيامة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٥١ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢﴾

٤٨- ٥٢- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرءانَ ﴿لَتَذۡكِرَةٞ﴾ لَعِظَةٌ ﴿لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨﴾ [لأنهم المنتفعون منه] ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم﴾ [أيها الناس] ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ٤٩﴾ [به، وذلك لا يخرجه من أن يكون تذكرة، وسنجازيهم على تكذيبهم] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرءانَ ﴿لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾ به المكذبينَ له إذا رَأَوا ثوابَ المُصَدقين به ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرءان ﴿لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٥١﴾ لَعَيْنُ اليقين ومَحْضُ اليقين ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢﴾ فَسَبِحِ اللهَ بذكرِ اسمِه العظيم، وهو قوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾.

سورة المعارج
مكية وهي أربع وأربعون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ هو النَّضْرُ بنُ الحارث قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢﴾ [سورة الأنفال] أو هو النبيُّ ﷺ دعا بنزول العذاب عليهم، ولما ضُمِّنَ سَألَ معنى دعا عُدِّي تَعْدِيَتَهُ كأنه قيلَ دعا داعٍ ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾ [نازِلٍ بهم لأَجلِ كفرهم لا مَحالَة] من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه.

٢- ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ صِفةٌ لعذابٍ، أي: بعذابٍ واقعٍ كائنٍ للكافرين ﴿لَيْسَ لَهُۥ﴾ لذلك العذاب ﴿دَافِعٌ ۝٢﴾ رَادٌّ.

٣- ٤- ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: واقِعٍ مِن عنده، ليس له دافعٌ إذا جاء وقته ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ أي: مصاعِدِ السماءِ للملائكة جَمْعُ مَعْرَجٍ وهو موضِعُ العُروجِ. ثم وَصَفَ المَصَاعِدَ وبُعْدَ مَدَاها في العُلْوِ والارتفاع فقال ﴿تَعْرُجُ﴾ تَصعَدُ، ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ أي جبريلُ عليه السلام، خَصَّهُ بالذِكر بعدَ العُموم لِفَضْله وشَرَفِهِ ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى عَرشِه ومَهْبِطِ أَمرِهِ ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ يقعُ في يوم طويلٍ مقدارُه

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩﴾

خمسون ألفَ سَنَةٍ من سِنيكم، وهو يومُ القيامة، فإما أن يكون استطالةً له لِشِدَّته على الكفار، أو لأنه على الحقيقة كذلك، فقد قيل فيه خمسونَ مَوطِنًا[١] كلُّ مَوْطِنٍ ألفُ سَنة وما قَدْرُ ذلك على المؤمن إلا كما بينَ الظُهر والعَصْر.

٥- ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ لأن استعجال النَّضْرِ بالعذاب إنما كان على وَجْهِ الاستهزاء برسول الله ﷺ والتكذيب بالوحي، وكان ذلك مما يُضْجِرُ رسولَ الله ﷺ فأُمِرَ بالصبر عليه ﴿صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥﴾ بلا جَزَعٍ[٢] ولا شكوى.

٦- ﴿إِنَّهُمۡ﴾ إن الكفارَ ﴿يَرَوۡنَهُۥ﴾ أي: العذابَ، أو يومَ القيامة ﴿بَعِيدٗا ۝٦﴾ مُستحيلًا[٣].

٧- ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾ كائنًا لا مَحَالة، فالمرادُ بالبعيدِ: البعيدُ من الإمكانِ وبالقريبِ: القريبُ منه.

٨- ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ﴾ [أي: يكونُ، أو يَقَعُ] في ذلك اليوم، يوم تكون السماءُ ﴿كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨﴾ كَدُرْدِيِّ[٤] الزيتِ، أو كالفضة المُذَابة في تَلوُّنها.

٩- ١٠- ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩﴾ كالصُّوفِ المَصْبوغِ أَلوانًا، لأن الجبالَ جُدَدٌ[٥] بِيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ ألوانُها وَغَرابِيْبُ[٦] سُوْدٌ فإذا

---

(١) الجَزَعُ: نقيضُ الصبر، والجَزُوعُ ضد الصَّبُور.
(٢) أي: كان هذا الاستبعادُ منهم على وجه الاستحالة، أي غيرُ واقع.
(٣) دُرْدِيُّ الزيت: ما يبقى في أسفَلِهِ، أي: عَكَرُ الزيت.
(٤) كما ورد في آيةِ سورةِ فاطر: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ﴾ إلى ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾، والجُدَدُ الخِطَطُ والطرائق تكون في الجبالِ بيضٌ وسُوءٌ وحُمْرٌ.
(٥) غرابيبُ: أي سُودٌ حالكةُ السواد جمعُ غِربيب وهو شديد السواد، أي: وفي الجبال صخور شديدُ السواد.
(٦) بُسَّت: أي حُطِّمَت وتَفتَّت حتى عادت كالسَّوِيق المبسوس، أي: المبلول بِسَمْن أو زيت

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾

بُسَّتْ[1] وطُيِّرت في الجو أَشبَهَتِ العِهْنَ المَنفوشَ إذا طيَّرَتْهُ الريحُ ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ لا يَسأل قريبٌ عن قريبٍ لاشتغاله بِنَفْسه.

١١- ١٤- ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ﴾ كأنه لَمَّا قالَ: ولا يَسأَلُ حميمٌ حميمًا قيل لعله لا يُبصِرُه فقيل: يُبَصَّرُونَهم، ولكنَّهم لتَشَاغُلهم لم يتمكنوا من تَسَاؤلهم، أي: يُبصَّرُ الأَحِمَّاءُ الأَحِمَّاءَ فلا يَخْفَونَ عليهم، ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ يتمنى المشركُ ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ﴾ [تَوَدُّ الكافر من عظيم ما ينزل عليه يومئذ من البلاء أن يفتدى نفسه لو وَجَدَ إلى ذلك سبيلًا بأحب الناس إليه] ﴿بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ ﴿١٢﴾﴾ وزوجته ﴿وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ﴿١٣﴾﴾ وعَشِيْرَته الأَدْنَيْنَ ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾ تَضُمُّه انتماءً إليها، ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مِنَ الناس ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ الافتداءُ، عطفٌ على يفتدي[2].

١٥- ﴿كَلَّآ ۖ﴾ ردعٌ للمجرم عن الوَدَادَةِ[3] وتنبيه على أنه لا ينفعُه الافتداء ولا يُنجيه منَ العذاب ﴿إِنَّهَا﴾ إن النار، وَدَلَّ ذِكرُ العذاب عليها، ﴿لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ عَلَمٌ للنار، (لأنها تتلظّى أي: تتلهَّبُ على الكفار).

١٦- ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ لأَطرافِ الإنسان كاليدين والرجلين، أَو جَمْعُ شَوَاةٍ وهي جِلدةُ الرأس تنزِعُها نَزْعًا [بشدَّةِ تلظِّيها] فتفرّقها، ثم تَعودُ إلى ما كانت.

أو غيرهما، والسَّويقُ ما يُتخذ من الحنطة أو الشعير زادًا للسَّفر وغيره.

(١) أي يتمنَّى أن يفتديَ نفسه بكل هؤلاء، ويتمنى أن يُنْجِيَه ذلك الافتداء.

(٢) الوَدادَةُ بالفتح التمنّي.

(٣) الجَزَعُ بالتحريك: نَقيضُ الصبر.

﴿تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ١٨ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦﴾

١٧- ﴿تَدۡعُواْ﴾ بأسمائهم يا كافِرُ يا منافِقُ إِليَّ إليَّ، أَو لمَّا كانَ مَصِيرُهُ إليها جُعِلَت كأنها دَعَتْهُ ﴿مَنۡ أَدۡبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَتَوَلَّىٰ ١٧﴾ عن الطاعة.

١٨- ﴿وَجَمَعَ﴾ المالَ ﴿فَأَوۡعَىٰ ١٨﴾ فَجعَله في وِعاءٍ ولم يُؤدِّ حَقَّ الله منه.

١٩- ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أُريدَ به الجِنسُ ليَصِحَّ استثناءُ المصلينَ مِنْهُ ﴿خُلِقَ هَلُوعًا ١٩﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: تفسيره ما بعده.

٢٠- ٢١- ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١﴾ والهَلَعُ: سُرْعَةُ الجَزَعِ عند مَسِّ المكروه وسُرعةُ المَنْعِ عندَ مَسِّ الخير. إذا نالَهُ شَرٌّ أَظهَرَ شِدَّةَ الجَزَعِ[1] وإذا نالَهُ خَيرٌ بَخِلَ بِهِ ومَنَعَهُ الناسَ، وهذا طَبْعُهُ وهو مأمورٌ بمخالفةِ طَبْعِه وموافقةِ شَرْعِهِ، والشَّر: الضُّرُ والفقرُ. والخيرُ: السَّعَةُ والغِنَى، أو المَرَضُ والصِّحَةُ.

٢٢- ٢٣- ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣﴾ أي: صَلَواتِهم الخَمْسِ ﴿دَآئِمُونَ ٢٣﴾ يُحافظون عليها في مواقيتها.

٢٤- ٢٥- ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤﴾ يعني: الزكاةَ، لأنها مُقَدَّرةٌ معلومة، ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ الذي يَسأَلُ ﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾ الذي يَتعفَّفُ عن السؤال فَيُحْسَبُ غنيًا فَيُحْرَمُ.

٢٦- ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦﴾ يومِ الجَزاءِ والحسابِ، وهو يومُ القيامة.

---

(١) الشَّفَقُ الخِيفَةُ، تقول أنا مُشْفِقٌ عليك، أي: خائف عليك.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾

٢٧- ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ خائفون[1].

٢٨- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ أي: لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الاجتهاد والطاعة أَنْ يَأمَنَهُ، وينبغي أن يكون مُتَرَجِّحًا بينَ الخوفِ والرجاء.

٢٩- ٣٠- ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴿٣٠﴾﴾ نِسائهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي: إمائِهم ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾﴾ على ترك الحِفْظِ.

٣١- ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ﴾ طَلَبَ مَنْكِحًا ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ غيرَ الزوجاتِ والمَمْلُوكات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾ المتجاوزونَ عن الحَلال إلى الحرام. وهذه الأية تدل على حُرمةِ المُتعة وَوَطءِ الذُكرانِ والبهائمِ والاستمناءِ بالكَفِّ.

٣٢- ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ تتناولُ أماناتِ الشرع وأماناتِ العباد ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ أي: عُهودهم، ويدخلُ فيها عهودُ الخَلْقِ والنذورُ والأَيمانُ ﴿رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ حافظون غيرُ خائنين ولا ناقِضين.

٣٣- ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يُقيمونها عندَ الحُكَّام بلا مَيْلٍ إلى قريبٍ وشريفٍ وترجيحٍ للقَويّ على الضعيف إظهارًا للصَّلابة في الدين ورغبةً في إحياءِ حقوقِ المسلمين.

٣٤- ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ كَرَّرَ ذِكرَ الصلاةِ لبيان أنها أَهَمُّ، أو لأن إحداهما للفَرَائضِ والأُخرى للنوافلِ، وقيل الدوام عليها:

---

(١) العِزَةُ: العُصْبَةُ من الناس، والجماعةُ والفِرْقَة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾

الاستكثارُ منها، والمحافظةُ عليها: أن لا تُضَيَّعَ عن مواقيتها، أو الدوامُ عليها: أَداؤها في أَوقاتها، والمحافظةُ عليها: حِفْظُ أَركانها وواجباتها وسُنَنِها وءادابها.

٣٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أصحابُ هذه الصفاتِ ﴿فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾ [يكرمهم الله بثواب لم تره عين ولم تسمع به أذن ولا يخطر على قلب بشر].

٣٦- ﴿فَمَالِ﴾ كُتِبَ مَفصُولًا اتّباعًا لمصحَفِ عثمانَ رضي الله عنه [أي فما شأن] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦﴾ نحوَكَ مُسرعينَ.

٣٧- ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ عن يمين النبي ﷺ وعن شماله ﴿عِزِينَ ٣٧﴾ فِرَقًا شَتَّى جَمْعُ عِزَةٍ[1]، كأَنَّ كُلَّ فِرقَةٍ تَعْتَزي[2] إلى غير من تعتزي إليه الأخرى، فهم مُفترقون.

كان المشركون يَحْتَفُّونَ حولَ النبي ﷺ حَلَقًا حَلَقًا وفِرَقًا فِرَقًا يَستمعون ويستهزئونَ بكلامه ويقولون: إن دَخَلَ هؤلاءِ الجنةَ كما يقول محمدٌ فَلَنَدخُلَنَّها قبلَهم، فنزلت:

٣٨- ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [مع هذا] ﴿أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨﴾ كالمؤمنين [الذين وصفناهم بهذه الأعمال].

٣٩- ﴿كَلَّآۖ﴾ رَدْعٌ لهم عن طَمَعِهم في دخولِ الجنة ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾ أي مِنَ النُّطفَةِ المَذِرَةِ[3] ولذلك أَبْهَمَ إشعارًا بأَنه مَنْصِبٌ

---

(١) أي: تنتسِبُ، من الاعتزاء أي الانتساب.

(٢) أي: رائحتها كرائحة البيضةِ المَذِرَة أي الفاسدة، يقال مَذِرَتِ البيضةُ أي فَسَدَت.

(٣) جمع جَدَثٍ: وهو القَبْرُ.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٤١ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٤٢ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾

يُسْتَحْيا مِنْ ذِكرِهِ، فَمِنْ أَين يتشرفونَ ويدَّعون التقدُمَ ويقولونَ لندخُلَنَّ الجنةَ قبلَهم، أو معناه: إنا خلقناهم من نُطفةٍ كما خلقنا بني ءادمَ كُلَّهم ومِنْ حُكمِنا أن لا يدخُلَ أَحدٌ الجنةَ إلا بالإيمان، فَلِمَ يَطمَعُ أن يَدخُلَها مَنْ لا إيمانَ له.

٤٠- ٤١- ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ مَطالعِ الشمسِ ﴿وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ ومغارِبِها ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ٤١﴾ على أن نُهْلِكَهم ونأتيَ بِخَلقٍ أَمْثَلَ منهم وأَطوَعَ للهِ ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٤١﴾ بعاجزين.

٤٢- ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ فَدَعِ المكذبينَ ﴿يَخُوضُواْ﴾ في باطِلِهم ﴿وَيَلۡعَبُواْ﴾ في دُنياهم [وهو وعيدٌ لهم] ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٤٢﴾ فيه العذابَ.

٤٣- ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾[1] القبور ﴿سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ﴾ هو كُلُّ ما نُصِبَ وعُبِدَ من دون الله [وجمعُهُ الأنصابُ] ﴿يُوفِضُونَ ٤٣﴾ يسرعون.

٤٤- ﴿خَٰشِعَةً﴾ ذليلةً ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ يعني: لا يرفعونها لِذِلَّتِهم ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ يَغشاهُم هَوَانٌ[2] ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾ في الدنيا وهم يكذبون به [ويقولون: متى هذا العذاب الواقع].

---

(١) أي نُعطيهم الخِزْيَ والمَذَلَّةَ.

(٢) أي لبيان ما هو الذي يُغفرُ لهم، وهو ذنوبهم فإن الإسلام يَجُبُّ ما قبله.

سورة نوح
مكية وهي ثمان وعشرون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴿٤﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ قيل: معناه بالسُّريانية السَّاكِنُ ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ﴾ خَوِّفْ ﴿قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ عذابُ الآخرة، أو الطُّوفان.

٢- ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾ أَضافَهُم إلى نفسِه إظهارًا للشَّفَقة [وأنه لا يريدُ بهم إلا الخير] ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ مُخَوِّفٌ ﴿مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ أُبينُ لكم رسالةَ اللهِ بِلُغَةٍ تعرفونها.

٣- ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وَحِّدُوهُ ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ واحْذَروا عِصْيَانَه ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ فيما ءامُرُكم به وأَنهاكُم عنه.

٤- ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [مِنْ] للبيان[1] كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ[2] مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الحج]، أو للتبْعيض لأن ما يكونُ

---

(١) وهنا أيضًا (مِنْ) لبيان الرِّجسِ لأن الرجسَ مُبهمٌ يتناول غيرَ شيء، فكأنه قيل: فاجتنبوا الرجسَ الذي هو الأوثان.

(٢) قيل: لأن مِنَ الذنوب مظالم قد تُغفرُ إلا برضا أربابها، وقيل: لأن الإسلامَ يَجُبُّ ما قَبلَهُ

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾

بينَه وبينَ الخَلق يؤاخذ به بعدَ الإسلام كالقِصاص وغيره[1] ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ﴾ وهو وَقتُ مَوتِكم ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ أي: الموتَ ﴿إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ أي: لو كنتم تعلمون ما يَحُلُّ بكم منَ النَّدامة عندَ انقضاءِ أَجَلكم لآمنتم، وقيل: إنهم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاكَ من قومهم بإيمانهم وإجابتهم لنوح عليه السلام، فكأنه عليه السلام أمَّنَهم من ذلك ووعدهم بأنهم بإيمانهم يُبْقَونَ إلى الأجل الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا، أي: أنكم إن أسلمتم بُقِّيتُم إلى أجل مسمًّى آمنين من عدوكم.

٥- ٦- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾﴾ دائبًا بلا فُتُور ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ عن طاعتك، وَنَسَبَ ذلك إلى دُعائهِ لحُصولهِ عندَه، وإن لم يكن الدعاءُ سببًا للفِرار في الحقيقة. وكان الرجلُ يذهب بابنه إلى نوح عليه السلام فيقول: احذر هذا فلا يَغُرَّنك، فإن أبي قد وصاني به.

٧- ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمان بك ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ليؤمنوا فَتغفِرَ لهم ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ سَدُّوا مَسامِعَهم لئِلَّا يسمعوا كلامي ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ وتَغطَّوْا بثيابهم كراهةَ النظر إلى وجه مَنْ يَنْصَحُهم في دين الله ﴿وَأَصَرُّوا۟﴾ وأَقاموا على كفرهم ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ وتَعَظَّموا[2] عن إجابتي، [وهو] دليل على فرط استكبارهم.

منَ الذنوب لا ما بَعْدَهُ.

(١) تعظموا أي تكبَّروا.

(٢) المَحْفِلُ: مُجتمَعُ الناس، وجمعُهُ محافِل.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾

٨- ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾﴾ مجاهرًا، يعني: أظهرتُ لهم الدعوةَ في المَحافِلِ[١].

٩- ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ خَلَطْتُ دُعاءَهم بالعَلانِيَةِ بِدُعَاءِ السِّرِ، فالحاصلُ أنه دعاهم ليلًا ونهارًا فافتتحَ بالمناصَحَةِ في السِّر، فلما لم يَقبلوا ثَنَّى بالمُجَاهَرَةِ، فلما لم تؤثر ثَلَّثَ بالجَمع بينَ الإسرارِ والإعلان.

١٠- ١٢- ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ مِنَ الشِرْك، لأن الاستغفارَ طلبُ المَغفرة، فإن كان المستغفِرُ كافرًا فهو من الكفر[٢]، وإن كان عاصيًا مؤمنًا فهو منَ الذنوب ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ لم يَزَلْ غفارًا لذنوبِ مَن يُنيبُ[٣] إليه ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المَطرَ ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [كثيرَ] الدُّرورِ [يتبع بعضه بعضًا] ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ يَزِدْكم أموالًا وبنينَ ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتينَ ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ جاريةً لِمَزَارِعكم وبساتينكم.

١٣- ١٤- ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ لا تخافون لله عَظَمةً [وقدرة على أن يعاقبكم على كفركم واستكباركم] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ أي ما لكم لا تؤمنونَ بالله والحالُ هذه، وهي حالٌ مُوجِبَة للإيمان به، لأنه خلقَكُم أطوارًا، خلقكم أوَّلًا نُطَفًا، ثم عَلَقًا، ثُم مُضَغًا، ثم عظامًا

---

(١) الكافر يستغفر مِنْ كفره بدخوله في الإسلام، وإلا قولُ: أستغفرُ اللهَ لا ينفعه ما دام كافرًا، لأن اللهَ لا يغفرُ للعبد ما دام كافرًا، فإذا أسلم فاستغفر يَغفرُ له. نوح عليه السلام قال لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: أسلموا ءامنوا بي واستغفروا الله يَغفرْ لكم.

(٢) الإنابَةُ: الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة.

(٣) معناه أن المني ينقلب بعد الأربعين يومًا إلى عَلَقَةٍ؛ وهي قطعة دم جامد، ثم هذا الدم

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

ولحمًا[1].

نبَّههم أولًا على النظر في أنفسهم لأنها أَقربُ، ثم على النظر في العالَم وما سُوِّي فيه من العَجائبِ الدالة على الصانع بقوله:

١٥- ٢٠- ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ [أي: تعلموا] ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ بعضًا على بعض ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ في السماوات، وهو في السماء الدنيا لأن بينَ السماوات ملابَسَة[2] من حيث إنها طِبَاقٌ فجاز أن يقال فيهن كذا وإن لم يكن في جميعهن، كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها[3] ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ مِصباحًا يُبصِرُ أَهلُ الدنيا في ضوئها كما يُبصِرُ أهلُ البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره، وضوءُ الشمس أقوى من نور القمر ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أنشأكم، استعيرَ الإنباتُ للإنشاء، [أي: أخرج أباكم من الأرض لأنه خلقه من طينها، وأنتم منه] ﴿نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ فَنَبَتُّم نَباتًا ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ بعدَ الموت ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ يومَ القيامة ﴿إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ أَيْ: أَيَّ إخراج [وهو للحساب والجزاء] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ مَبْسُوطَةً ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا﴾ لتتقلَّبوا عليها كما يَتقلَّبُ الرجلُ على بِساطه ﴿سُبُلًا﴾ طُرقًا ﴿فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ واسِعةً أو مختلفة.

الجامد يستحيل بعد أربعين يومًا مُضْغَةً؛ أي قطعةَ لحم صغيرةً قدرَ ما يُمضَغُ، ثم تُجعَلُ تلك المضغَةُ عَظمًا ثم يُكسَى ذلك العظمُ لحمًا.

(١) أي مخالطةً واشتراكًا.

(٢) ثم السمٰوات ولو كانت شدادًا لكنها مثلُ البلَّوْر، كثافتها لا تمنع نفوذ ضوء القمر إليه.

(٣) أي: عِبادَةِ الله، أي: لتَذَكُّرِ أعمالهم الصالحة.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾

٢١- ٢٢- ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ فيما أَمرتُهم به من الإيمان والاستغفار ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ أي: السَّفَلَةُ والفقراءُ ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ أي: الرؤساءَ وأَصحابَ الأَموال والأَولادِ ﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ في الآخرة ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ الماكرونَ هم الرؤساءُ، ومَكرُهم احتيالُهم في الدنيا وَكَيدُهم لنوح وتحريشُ الناس على أَذاهُ وصَدُّهم عن المَيْلِ إليه ﴿مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ عَظيمًا وهو أَكبَرُ مِنَ الكِبَارِ، وهو أكبَرُ منَ الكبير.

٢٣- ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: الرؤساءُ لسَفَلَتِهم ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ على العُموم أي عبادَتَها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ صنمٌ على صورة رجل ﴿وَلَا سُوَاعًا﴾ هو على صورة امرأة ﴿وَلَا يَغُوثَ﴾ هو على صورة أسد ﴿وَيَعُوقَ﴾ هو على صورة فرس ﴿وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ هو على صورة نَسْرٍ، أي: هذه الأصنامَ الخمسةَ على الخصوص، وكأنها كانت أكبرَ أصنامهم وأعظمَها عندهم فَخَصُّوها بعدَ العُموم وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب[1]، وقيلَ: هي أسماء رجال صالحين، كان الناس يقتدون بهم بين ءادم ونوح، فلما ماتوا صورهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى العبادة[2]، فلما طال الزمان قال لهم إبليس: إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم.

٢٤- ٢٥- ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟﴾ أي: الأَصنامُ[3] ﴿كَثِيرًا﴾ منَ الناس، أو الرؤساءُ [بأن أمروهم بعبادتها] ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ هلاكًا

---

(١) قيل: إنها انتقلت بأعيانها إلى العرب، وقيل الأسماءُ فقط.

(٢) أي: على طريقِ التسبب، لأن الناس ضلوا بسببهم فكأنهم أضلوهم، كما يقال لمن فُتِنوا بالدنيا فتنتهم الدنيا، أي افتتنوا بها واغتروا بسببها.

(٣) مِن سكان نَصِيْبِيْن، وهي مدينة في تركيا قرب حدود سوريا، قرب القامِشلي.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ٢٧ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨﴾

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ﴾ ذنوبهم [أي من أجل خطيئاتهم] ﴿أُغۡرِقُواْ﴾ بالطوفان ﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ عَظيمةً، والفاء في فأدخلوا للإيذان بأنهم عُذبوا بالإحراق عقيب الإغراق فيكون دليلًا على إثبات عذاب القبر ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥﴾ ينصرونَهم ويَمنعونَهم من عذاب الله.

٢٦- ٢٧- ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ أحدًا يدورُ في الأرض، وهو من الأسماء المستعملة في النفي العام ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ﴾ ولا تُهْلِكْهم ﴿يُضِلُّواْ عِبَادَكَ﴾ يَدعُوهم إلى الضلال ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ٢٧﴾ إلا مَنْ إذا بَلغَ فَجَرَ وكفرَ، وإنما قال ذلك لأن الله تعالى أخبرهُ بقوله: ﴿لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ ٣٦﴾ [سورة هود].

٢٨- ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ وكانا مُسلِمَين، واسم أَبيه لَمْكُ، واسم أُمِّهِ شَمْخَاءُ، وقيل: هما ءادمُ وحَواءُ ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ﴾ مَنزلي، أو مَسجدي، أو سفينتي ﴿مُؤۡمِنٗا﴾ لأنه عَلِمَ أَنَّ مَن دخلَ بيتَه مؤمنًا لا يعودُ إلى الكفر ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين ﴿إِلَّا تَبَارٗا ٢٨﴾ هلاكًا، فأُهلِكوا. واختُلِفَ في صِبيانهم حينَ أُغرقوا، فقيلَ: أَعقَمَ اللهُ أَرحامَ نِسائِهم قبلَ الطوفان بأَربعينَ سنة فلم يكن معهم صَبِيٌّ حين أُغرقوا، وقيل: علمَ اللهُ براءتهم فأُهلكوا بغير عذاب.

سورة الجن
مكية وهي ثمان وعشرون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿۞قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ لأمتك ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾ أن الأَمرَ والشأن ﴿ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾ جماعةٌ منَ الثلاثةِ إلى العَشَرة ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جِنِّ نَصِيْبِينَ[1] ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لقَومهم حين رَجعوا إليهم مِن استِماعِ قراءَةِ النبي ﷺ في صلاةِ الفَجر ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ عَجيبًا بَديعًا مُباينًا لسائرِ الكُتبِ في حُسْنِ نَظْمِه وصِحَّة مَعانيه.

٢- ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ يدعو إلى الصَّواب، أو إلى التوحيد والإيمان ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ بالقرءان ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ مِنْ خَلْقِه.

٣- ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ عَظَمَتُهُ[2]، ومنه قول عمر أو أنس: كان الرجلُ إذا قرأ البقرة وآلُ عمرانَ جَدَّ فينا، أي عَظُمَ في عيوننا ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً﴾ زوجةً ﴿وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ كما يقولُ كفارُ الجِنِّ والإنس.

---

(١) الجَدُّ العَظَمَةُ، أي: تنزه وتعالت عظمَتُه عما نُسِبَ إليه مِن اتخاذ الصاحبة والولد.
(٢) مخوفٌ من الأرض: طريقٌ يُخافُ فيه، لأن الطريق لا تُخِيف وإنما يُخيف قاطِعُها.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾

٤- ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهِلُنا، أو إبليسُ إذ ليس فوقَهُ سَفيهٌ ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾ كفرًا، لبُعْدِه عن الصوابو والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره.

٥- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ قولًا كذبًا أي: كان في ظننا أن أحدًا لن يكذبَ على الله بنسبة الصاحبة والولد إليه، فكنا نصدقهم حتى تبين لنا بالقرءان كذبهم.

كان الرجلُ منَ العَرَب إذا نزلَ بمَخُوف[1] منَ الأَرض قال: أَعوذُ بِسَيِّدِ هذا الوادي مِنْ سُفهاء قَومِه، يريدُ كبيرَ الجِنّ، فقال:

٦- ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ﴾ زادَ الإنسُ الجِنَّ باستعاذَتِهم بهم ﴿رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ طُغيانًا وسَفَهًا وكِبْرًا بأن قالوا سُدْنا الجنَّ والإنس.

٧- ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ وأن الجن ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا أَهلَ مَكةَ ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ بعدَ الموت، أي: أنَّ الجنَّ كانوا يُنكرونَ البَعثَ كإنكاركم، ثم بسَمَاع القرءانِ اهتَدَوا وأَقروا بالبعثِ، فهلَّا أَقررتم كما أَقَرّوا؟

٨- ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ طَلَبْنا بُلوغَ السماءِ واستماعَ كلامِ أَهلِها، واللمسُ المَسُّ، فاستعير للطلب لأن الماسَّ طالبٌ مُتَعَرِّفٌ ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ جَمعًا أَقوياءَ مِنَ الملائكة يَحرُسون ﴿وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ جَمْعُ شِهابٍ، أي: كواكبَ مُضيئةً [كَشُهُب النار تُرجَمُ بها الشياطين].

---

(١) أي راقبًا له ومُترقبًا له مُعَدًّا لِرَجْمِهِ.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾

٩- ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ من السماء قبل هذا ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ﴾ لاستماعِ أخبارِ السماءِ، يعني: كنا نَجِدُ بعضَ السماءِ خاليةً منَ الحَرَس والشُّهُب قبلَ المَبْعَث ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ﴾ يُرِد الاستماعَ ﴿الْآنَ﴾ بعدَ المَبْعَث ﴿يَجِدْ لَهُ﴾ لِنَفْسِه ﴿شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ يَجِدْ شهابًا راصِدًا[1] له ولأجله والجمهور على أن ذلك لم يكن قبل مبعث محمد ﷺ، وقيل: كان الرجم في الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الأوقات، فمُنِعوا من الاسترَاق أصلًا بعد مبعث النبي ﷺ.

١٠- ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ﴾ عذابٌ ﴿أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ بِعَدَمِ استِراقِ السمعِ ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ خيرًا ورحمة [وقيل: هذا قول الجن بعضهم لبعض قبل مجيئهم إلى النبي ﷺ وقد حِيلَ بينهم وبين خبر السماء ولم يدروا سبب ذلك].

١١- ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ [أي: قالت الجن: كان منا قبل استماع القرآن] الأبرارُ المتقون [وهم المؤمنون بالأنبياء المتقدمين] ﴿وَمِنَّا﴾ قوم ﴿دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ وهم المُقتَصِدونَ في الصلاح غيرُ الكاملين فيه، أو أرادوا الطالحين غير الصالحين ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ كنا ذَوي مذاهبَ متفرقةٍ أو أديانٍ مختلفة.

١٢- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ أيقنا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ﴾ لن نَفُوتَه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أينما كنا فيها ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ هاربين منها إلى السماء.

---

(١) المسلمون العادِلون يقال لهم المُقْسِطون، وأما القاسطون فهم الكفار.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

١٣- ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ القرءانَ [الدالَّ على الرُّشد] ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ﴾ بالقرءانِ، أو بالله ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ نَقْصًا من ثوابه ﴿وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ ولا تَرْهَقُه ذِلَّة [فلا يغشاهُ ما يكره].

١٤- ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ المؤمنون، [أي: بعد استماع القرآن] ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ﴾ الكافرونَ الجائرونَ عن طريق الحق قَسَطَ: جارَ وأَقْسَطَ: عَدَلَ[1] ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ طلبوا هُدَىً، والتَّحري: طلبُ الأَحْرى أي: الأَولى.

١٥- ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟﴾ في عِلْمِ اللهِ ﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ وَقودًا، وفيه دليل على أن الجِنيَّ الكافِرَ يُعذَّبُ في النار.

١٦- ١٧- ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ أي: أُوحِيَ إليَّ أنَّ الشَّأنَ لو استقاموا أي: القاسطون ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ طريقةِ الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ كثيرًا، والمعنى: لوسَّعنا عليهم الرزقَ، وذكَرَ الماءَ الغَدَق لأنه سَبَبُ سَعَةِ الرزق ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ﴾ لنختبرَهم فيه كيف يَشكرون ما خُوِّلوا[2] منه ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ القرءانِ، أو التوحيدِ، أو العبادة ﴿يَسْلُكْهُ﴾ يُدْخِلْهُ ﴿عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ شاقًّا.

١٨- ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ أي: أُوحِيَ إليَّ أن المساجِدَ أي: البيوتَ المَبنية للصلاة فيها لله ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ في المساجد لأنها

---

(١) أي: ما أُعطوا من الله تفضُّلًا.

(٢) أي: هي لله، فلا تسجدوا بها لغيره.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾

خالِصَةٌ للهِ ولعبادته، وقيل: المساجدُ أعضاءُ السجود وهي الجبهةُ واليدان والركبتان والقدمان[1].

١٩- ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ محمدٌ عليه الصلاة والسلام إلى الصلاة، وتقديره: وأُوحي إليَّ أنه لما قامَ عبدُ الله ﴿يَدْعُوهُ﴾ يَعْبُدُه ويقرأُ القرءان، ولم يقل «نبيُّ الله» أو «رسولُ الله»، لأنه مِنْ أحبِّ الأسماء إلى النبي ﷺ، ولأنه لَمَّا كان واقعًا في كلامه ﷺ عن نَفْسِه جِيءَ به على ما يقتضيه التواضعُ ﴿كَادُواْ﴾ كادَ الجنُّ ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ جماعاتٍ، جمع لِبْدَةٍ[2] تَعجُّبًا مما رأَوا من عبادته واقتداءِ أَصحابه به، وإعجابًا بما تلاه منَ القرءان لأنهم رأَوا ما لم يَرَوا مثلَه.

٢٠- ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى﴾ وَحْدَهُ ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ في العبادة، فلمَ تتعجبون وتزدحمونَ عليَّ؟

٢١- ٢٣- ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ مَضَرَّةً ﴿وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ نَفعًا، يعني: لا أستطيع أن أَضُرَّكم وأَن أَنفَعكم، لأن الضَّارَّ والنافعَ هو اللهُ ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ لن يدفَعَ عني عذابَه أَحدٌ إن عَصَيتُه ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ مُلتَجَأً ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا أَملِكُ لكم ضرًّا ولا رشدًا إلا أن أُبلِّغَ عن الله، فأقولَ قال الله كذا، وأن أُبلغَ رسالتَه التي أرسلني بها بلا زيادة ولا نقصان ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في تركِ القَبولِ لِمَا أُنزِلَ على الرسول ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾.

---

(١) وهو ما تَلَبَّدَ بعضُه فوق بعض، يريدُ به الكثرة، واللِّبْدَةُ الجراد الكثير الذي رَكِبَ بعضُه بعضًا.

(٢) أي: على ما يشاءُ مِن غَيبِهِ، وليس على كل غَيبه، فلم يُطلع اللهُ أحدًا على كل الغيب.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾

٢٤- ﴿حَتَّىٰٓ﴾ كأنه قيل: لا يزالون على ما هم عليه حتى ﴿إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ منَ العذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عندَ حُلولِ العذاب بهم ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ أَهُمْ أَم المؤمنون؟ أي: الكافرُ لا ناصِرَ له يومئذ، والمؤمنُ ينصُره اللهُ وملائكتُه وأنبياؤه.

٢٥- ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾ ما أَدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ منَ العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ غايةً بعيدةً، يعني: أنكم تعذبونَ قطعًا، ولكن لا أَدري أَهو حالٌّ أم مؤجَلٌ؟

٢٦- ٢٧- ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: هو عالمُ الغيب ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ فلا يُطلعُ ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ مِنْ خَلقِه ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ إلا رسولًا قد ارتضاه لعِلم بعضِ الغيبِ ليكونَ إخبارُهُ عن الغيبِ معجزةً له، فإنه يُطْلعه على غيبه ما شاء[1]، والولي إذا أخبر بشيء فظهَرَ فهو غير جازم عليه، وإنما أَخبرَ بناءً على رؤياه أو بالفِراسة[2]، على أن كلَّ كرامةٍ للولي فهي معجزةٌ للرسول ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ﴾ يُدْخِلُ ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ يَدَي الرسولِ[3] ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ حَفظةً منَ الملائكة يَحفظونه من الشياطين ويعصِمونَه من وَساوِسِهم وتخالِيْطِهم حتى يُبَلِّغَ الوَحْيَ.

---

(١) الفِراسَة: ما يوقِعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوالَ بعضِ الناس بنوع من الكرامات وإصابَةِ الظن والحَدْس، هذا أحد معيني الفِراسة، والثاني يُعلم بالدلائل والتجارب والخُبرة، مِن قولك تفرَّستُ في كذا خيرًا مثلًا أي: توَسَّمْتُهُ، أي: رأيت فيه وَسْمَ ذلك، أي: علامةَ ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الحجر] أي للمتفرِّسين المتأملين الذين يعرفون باطِنَ الشيء بسِمَةٍ ظاهرة.

(٢) أي: أمامَهُ، أي يجعَلُ حَفَظَةً من الملائكة يَحفظونَه من الشياطين من أمامه ومن خلفه.

(٣) البَتُّ: القطعُ والجَزْمُ.

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾

٢٨- ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ اللهُ ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ أي: الرسُلُ ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ كاملةً بلا زيادةٍ ولا نُقصانٍ إلى المرسَلِ إليهم، أي ليعلَمَ اللهُ ذلك موجودًا حالَ وُجودِهِ كما كانَ يعلَمُ ذلك قبلَ وجودِهِ أنه يوجَدُ، [أو: ليظهرَ إبلاغ الرسُل قومَهم ما أمروا بإبلاغه محفوظًا من التغيير، والعلمُ كنايةٌ عن الظهور] ﴿وَأَحَاطَ﴾ اللهُ ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بما عندَ الرُسُلِ منَ العلم ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ مِنَ القَطْرِ والرَّمْل ووَرَق الأشجار وزَبَدِ البحار، فكيف لا يُحيط بما عندَ الرُسل من وَحْيِهِ وكلامِه؟!

سورة المزمل
مكية وهي تسع عشرة أو عشرون ءاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ۝٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ المُتَزمِّلُ، وهو الذي تَزَمَّلَ في ثيابِهِ، أي: تَلَفَّفَ بها، وكان النبيُّ ﷺ نائمًا بالليل متزمِّلًا في ثيابِهِ فأُمر بالقيام للصلاة بقوله:

٢- ٤- ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُ﴾ بدلٌ منَ الليلِ تقديرُهُ: قُمْ نِصفَ الليلِ إلا قليلًا ﴿أَوِ انقُصْ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا ۝٣﴾ إلى الثُّلُث ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ على النصفِ إلى الثلثين، والمراد التخييرُ بين أَمرين: بين أن يقومَ أَقلَّ مِن نِصف الليل على البَتِّ[1]، وبينَ أَن يختارَ أَحدَ الأمرين وهما النقصانُ منَ النصفِ والزيادةُ عليه، وإن جَعَلْتَ ﴿نِّصْفَهُ﴾ بدلًا من ﴿قَلِيلًا﴾ كان تخييرًا بين ثلاثة أَشياءَ: بين قيامِ نصفِ الليل تامًّا، وبينَ قيامِ الناقِصِ منه، وبينَ قيامِ الزائدِ عليه، وإنما وُصفَ النِصفُ بالقِلَّةِ[2] بالنسبة إلى الكُلِّ، وإلا فإطلاقُ لفظِ القليل يَنطَلِقُ على ما دونَ النصف

---

(١) أي في قوله تعالى ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُ﴾ على تفسيره بقُمِ الليلَ إلا نِصفه بجعل نِصفَه بدلًا من قليلًا.

(٢) أي: قف على رؤوس الآي، وافصِلِ الآيات عن بعضها.

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾ بَيِّنْ وَفَصِّلْ[1]، أو اقرأ على تُؤدَة بتبيين الحروف وحِفظِ الوقوف وإشباعِ الحَرَكات ﴿تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ هو تأكيدٌ في إيجابِ الأَمر به وأنه لا بُدَّ مِنهُ للقارىء.

٥- ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ﴾ سَنُنَزِّلُ عليك ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ أي: القرءانَ، لما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليفُ شاقةٌ ثقيلة على المكلفين، أو ثقيلًا على المنافقين، أو كلامًا له وَزْنٌ ورُجحانٌ ليس بالسَّفْسافِ[2] الخفيف.

٦- ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ قيامَ الليلِ ﴿هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أَثقلُ على المصلي من صلاة النهار لطردِ النوم في وقته ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾ وأَشَدُّ[3] مقالًا وأَثبتُ قراءةً لهدوء الأصوات وانقطاع الحركات.

٧- ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾﴾ تَصَرُّفًا وتقلبًا في مُهِمَّاتك وشواغِلك، فَفرّغْ نفسَك في الليل لعبادةِ ربك.

٨- ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ وَدُمْ على ذِكره في الليل والنهار، وذِكرُ اللهِ يتناولُ التسبيحَ والتهليل والتكبير والصلاةَ وتلاوةَ القرءان ودراسةَ العِلم ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾ انقَطِعْ إلى عبادَتِه عن كل شيء، والتبتُّلُ: الانقطاع إلى الله تعالى بتأميل الخير منه دونَ غيره ﴿تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ زيادةُ تأكيدٍ.

٩- ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ أي: هو ربُّ [المشرق والمغرب] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ وَليًّا وكفيلًا بما وَعَدَكَ منَ النَصر، أو إذا عَلِمْتَ

---

(١) السَّفْسَافُ: الرديءُ من كل شيء.

(٢) أكثر استقامةً للقراءة.

(٣) أي بعد أن عرفت ذلك لا تنتظرْ في تفويض أمرك إليه.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ١٤ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ ١٥﴾

أنه مَلِكُ المَشرق والمَغرب وأن لا إلٰه إلا هو فاتخِذْهُ كافيًا لأُمورك(١).

١٠- ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فِيَّ من الصَّاحبةِ والوَلَد، وفيك من السَّاحر والشاعر ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾ جانِبْهُم بقلبك وخالِفْهم مع حُسْنِ المخالقة وترك المكافأة(٢).

١١- ١٣- ﴿وَذَرۡنِي﴾ كِلْهُمْ إليَّ فأنا كافيهم ﴿وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ رؤساءَ قُريشٍ ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ التَّنَعُّم ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ﴾ إمهالًا ﴿قَلِيلًا ١١﴾ إلى يوم بَدْرٍ، أو إلى يوم القيامةِ ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ﴾ للكافرينَ في الآخرة ﴿أَنكَالٗا﴾ قُيودًا ثِقالًا، جمعُ نِكْلٍ(٣) ﴿وَجَحِيمٗا ١٢﴾ نارًا مُحْرِقة ﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾ أي: الذي يَنْشَبُ في الحُلقوم(٤) فلا يُسَاغُ، يعني الضَّرِيعَ(٥) والزَّقوم(٦) ﴿وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣﴾ يَخْلُصُ وجَعُه إلى القلب.

١٤- ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾ تتحَرَّكُ حركةً شديدة ﴿وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملًا مجتمعًا ﴿مَّهِيلًا ١٤﴾ سائلًا بعدَ اجتماعِهِ.

١٥- ١٧- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ يا أَهلَ مكة ﴿رَسُولٗا﴾ محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ يشهَدُ عليكم يوم القيمة بكُفْركم

---

(١) حُسْنُ المُخالقةِ المعاملةُ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، وتركُ المكافأة: عدمُ المعاملة بالمِثْل من رَدِّ الإساءَةِ بالإساءَة.

(٢) القيدُ الشديدُ مِن أي شيء كان.

(٣) أي: يَعْلَقُ في الحَلْق.

(٤) نبتٌ فيه شوك، يقال له الشِّبْرِق، فإذا يَبِسَ فهو ضريعٌ، وهو سُمٌّ قاتل لا ترعاه دابةٌ لِخُبثِهِ.

(٥) الزَّقومُ: شجرةٌ على صورةِ شجرةٍ من أَخبث الشجر المُرّ بتهامة يُنبتها اللهُ تعالى في الجحيم في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها، وهي من جملة طعام أهل النار.

(٦) أي إلى رِضوانه.

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ ٢٠﴾

وتكذيبكم ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥﴾ يعني: موسى عليه السلام ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: ذلك الرسول ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦﴾ شديدًا غليظًا، [أي: فعاقبناه عقوبة شديدة] وإنما خَصَّ موسَى وفرعَونَ لأن خبرَهما كان منتشرًا بين أهل مكة، لأنهم كانوا جيرانَ اليهود ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا﴾ كيف تتقونَ عذابَ يوم ﴿يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧﴾ [أي ذلك اليوم يجعلُ الوِلدانَ فيه شِيبًا] مِنْ هَوْلِهِ وشِدَّتِه، وذلك حين يقال لآدمَ عليه السلام: قُم فابعَثْ بَعْثَ النار من ذريتك، وقيل: هو على التمثيل للتهويل، يقال لليوم الشديد: يومٌ يُشِيبُ نواصِيَ الأطفال.

١٨- ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ﴾ السماء على عِظَمِها وإحكامِها تنفَطِرُ فيه أي: تَنْشَقُّ [بيوم القيامة]، فما ظنُّكَ بغيرها منَ الخلائق؟ والتذكير على تأويل السماء بالسقف، أو السماءُ شيء منفطر ﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ [كان وعدُ] اللهِ عز وجل ﴿مَفۡعُولًا ١٨﴾ كائنًا.

١٩- ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآياتِ الناطقةَ بالوعيدِ ﴿تَذۡكِرَةٞۖ﴾ مَوْعِظَةٌ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾ فمَنْ شاءَ اتعظَ بها واتخذَ سبيلًا إلى الله[1] بالتقوى والخشية.

٢٠- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾ أقلَّ [من الثلثين] ﴿وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [وتقومُ نصفَ الليل وثلثَ الليل] ﴿وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ أي: ويقومُ ذلك المقدارَ جماعةٌ مِن أصحابك ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾

---

(١) أي يَشُقُّ عليكم عدُّ ساعات الليل وضبطُها، وضَبطُ النصفِ والثلثِ والثلثين من الليل،

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴿٢٠﴾﴾

ولا يَقْدِرُ على تقديرِ الليلِ والنهار ولا يَعلَمُ مَقاديرَ ساعاتهما إلا اللهُ وَحدَهُ، ثُم إنهم قاموا حتى انتفخت أَقدامُهم فَنزلَ ﴿عَلِمَ﴾ [بعلمه الأزلي] ﴿أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ لن تُطيقوا قِيامَهُ على هذه المقاديرِ إلا بِشدَّةٍ ومَشَقة[1] ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[2] فخفَّفَ عليكم وأَسقطَ عنكم فرضَ قيامِ الليل ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ﴾ عليكم ﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾ روى أبو حنيفة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: مَنْ قرأَ مائةَ ءايةٍ في ليلةٍ لم يُكتَبْ منَ الغافلين، ومَن قرأَ مائتي ءاية كُتِبَ منَ القانتين[3]. وقيل: أَرادَ بالقرءان الصلاةَ لأَنه بعضُ أَركانها، أي فَصَلُّوا ما تَيَسَّر عليكم ولم يَتَعَذَّرْ من صلاة الليل، وهذا ناسِخٌ للأَول، ثم نُسِخَ هذا بالصلواتِ الخمس، ثم بيَّنَ الحِكمةَ منَ النسخِ، وهي تعذُّرُ القيام على المَرضَى والمسافرين والمجاهدين فقال: ﴿عَلِمَ﴾ [بعلمه الأزلي] ﴿أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ فيشُقُّ عليهم قيامُ الليل ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يُسافرون ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ رزقَهُ بالتجارة، أو طلبَ العِلم ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [يغزون فيَشُقُّ عليهم قيام الليل في السفر] ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كَرَّرَ الأمرَ بالتيسير لشِدةِ احتياطهم ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضَةَ ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ الواجبةَ ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ بالنوافِلِ[4] ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ منَ الحلال بالإخلاص،

ولن تطيقوا قيام الليل على الدوام، ولم يكن ذلك تكليفَ ما ليس في الوُسْعِ، وإن كان فيه مَشَقَّة.

(١) أي: رجعَ بكم من تثقيلٍ إلى تخفيف، والتَّوْبُ الرجوعُ.

(٢) القانتين: المطيعين.

(٣) أي: بالإنفاق في النوافل مما سوى الزكاة ونحوها من الواجبات في وجوه البر.

(٤) أَجْزَلَ: أكثَرَ.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

[سَمَّى ما ينفق في سبيله قرضًا لتنبيههم بذلك أنه يجزيهم ليه لا محالة، لأن القرضَ ما يُقبضُ ببدل مِثلهِ فيما بعد] ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابَهُ ﴿عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ مما خَلَّفْتُم وتركتم ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ وأَجزَلَ[1] ثوابًا ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ من السيئات، والتقصير في الحسنات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ يسترُ على أهل الذنب والتقصير ﴿رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ يُخَفِّفُ عن أهل الجُهدِ والتوفير[2].

---

(١) الوافر: الذي لم يَنقُص منه شيء، وأهل التوفير: الذين بذلوا جهدهم فلم ينقصوا مما أرادوا فعله شيئًا ولو مع المشقة الشديدة.

(٢) المراد هنا جبريل عليه السلام، ففي لفظ البخاري فإذا المَلَكُ الذي جاءني بحراءَ قاعدٌ

سورة المدثر
مكية وهي ست وخمسون ءاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رَوى جابرٌ أن النبي ﷺ قال: «**كنتُ على جبلِ حِرَاءَ، فَنُوديتُ: يا محمدُ إنك رسولُ اللهِ، فنظرتُ عن يميني ويساري فلمْ أرَ شيئًا، فنظرتُ إلى فوقي فإذا هو قاعدٌ على عرشٍ**[1] **بينَ السماءِ والأرضِ فَرُعِبْتُ ورَجعتُ إلى خديجةَ فقلتُ: دثّروني دَثّروني**» فدثَّرته خديجةُ، فجاء جبريل وقرأ:

١- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ المُتَلَفِّفُ بثيابِهِ، مِنَ الدِّثار، وهو كل ما كانَ من الثيابِ فوقَ الشِّعارِ، والشِّعارُ: الثوبُ الذي يلي الجَسَدَ.

٢- ﴿قُمْ﴾ مِن مَضجَعِكَ، أو قُمْ قيامَ عَزْم وتصميم ﴿فَأَنذِرْ ۝٢﴾ فَحَذِّر قومَك من عذابِ الله إن لم يؤمنوا؛ أو فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد.

٣- ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ واختَصَّ ربك بالتكبير، وهو التعظيم، وقل عند

على كرسي بين السماء والأرض، وعند البيهقي فإذا المَلَكُ الذي كان يجيئني قاعد على كرسي بين السماء والأرض، وفي رواية أخرى للبيهقي في السنن الكبرى كرواية البخاري.

(١) أي: عندما يَنوبُكَ، أي: ما ينزلُ من المهمات والحوادث، والنائبةُ: المُصيبة.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾

ما يَعروك[١] اللهُ أكبر، وروي أنه لمَّا نزل[٢] قال رسول الله ﷺ: الله أكبر فكبَّرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي[٣].

٤- ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ بالماءِ منَ النجاسة، لأن الصلاةَ لا تصحُ إلا بها، وهي الأَوْلى[٤] في غير الصلاة، أو فَقَصِّرْ مخالفةً للعَرَب في تطويلهم الثياب وجرهم الذُيولَ إذ لا يؤمَنُ معه إصابةُ النجاسة.

٥- ﴿وَالرُّجْزَ﴾ العذابَ، والمراد ما يؤدي إليه [ثم يُسمَّى كيدُ الشيطان رجزًا لأنه سبب العذاب] ﴿فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ اثبُتْ على هَجْرِه، لأنه عليه الصلاة والسلام كان بريئًا منه.

٦- ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾ لا تُعْطِ مُستكثرًا رائيًا لِمَا تُعطيه كثيرًا، أو طالبًا أكثر مما أَعطيتَ فإنك مأمور بأجل الأخلاق وأشرف الآداب.

٧- ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ ولِوَجْهِ الله فاستعمل الصبرَ على أوامره ونواهيه، وكُلِّ مَصبورٍ عليه ومصبورٌ عنه.

٨- ١٠- ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ نفخ في الصور، وهي النفخة الأولى، وقيل: الثانية ﴿فَذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى وقت النقر ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾﴾ فيومُ النقرِ يومٌ عسير، كأنه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يومٌ عسير يَلقَون فيه عاقبة أذاهم، وتلقى عاقبة صبرك عليه ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ لا يُرجَى أن يرجعَ يسيرًا كما يُرجى تيسيرُ العسير في أمور الدنيا.

---

(١) أي: لمَّا نزل قوله تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ قال رسول الله ﷺ وقال: الله أكبر.
(٢) لأن الشيطان لا يأمر بالتكبير.
(٣) البقاء على طهارة أولى في غير الصلاة.
(٤) قيل: لأنه كان لا نظير له في قومه في كثرة ماله.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾

١١- ١٤- ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ أيْ: كِلْهُ إليَّ، يعني الوليدَ بنَ المُغيرة، وكان يُلقَّبُ في قومِهِ بالوحيد[١] ﴿وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ ذَرني وَحْدي مَعَه فإني أَكفيكَ أَمرَهُ، أَو مَنْ خلقتُه منفردًا بلا أهل ولا مال ثم أنعمتُ عليه ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ مبسوطًا كثيرًا، أو مُمَدًّا بالنَّماء وكان له الزرعُ والضَّرْعُ والتجارة ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ حضورًا معه بمكة لغناهم عن السَفر، وكانوا عَشرةً أسلَمَ منهم خالدٌ وهِشامٌ وعُمَارَةُ ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾ وبَسَطت له الجاهَ والرياسةَ فأتممت عليه نعمتَي الجاهِ والمال، واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا.

١٥- ١٧- ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾ استبعادٌ واستنكار لطَمَعِهِ وحِرصِه، أي: يَرجو أن أزيدَ في ماله ووَلَدِه من غير شُكر ﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ له وقطعٌ لرجائه، أي: لا يُجمَعُ له بعدَ اليوم بين الكفر والمزيد من النِعَم، فلم يَزَلْ بعد نزول الآية في نُقصانٍ منَ المالِ والجاه حتى هَلَكَ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا﴾ للقُرءانِ ﴿عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾ مُعانِدًا جاحدًا ﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾ سأُغْشِيهِ ﴿صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ في الحديث: «**الصَّعودُ جبلٌ من نار يَصعَدُ[٢] فيه سبعين خريفًا ثم يهوي فيه كذلك أبدًا**».

١٨- ٢٥- ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ تعليل للوعيد، كأنه تعالى عاجله بالفقر والذُّل بعد الغِنَى والعِزّ لعِناده، ويعاقبه في الآخرة بأَشدِ العذاب لبلوغه بالعناد غايتَه، وتسميتهِ القرءانَ سِحرًا، يعني: أنه فكَّر ماذا يقولُ في القرءان ﴿وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾ في نفسِه ما يقوله وهيَّأه ﴿فَقُتِلَ﴾ لُعِنَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾

---

(١) أي: يُكَلَّفُ الكافر ارتقاءَهُ، وهو من نار، ويقال: كلما وضعَ يَده أو رِجلَه أو رُكبتَه على موضع منه ذابت فإذا رفعها عادت.

(٢) الله عالم بكل الأشياء، فالتعجب بمعنى الانفعال يستحيل على الله إنما هو تعجيبٌ لِخَلقه.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾

تَعجيبٌ[١] من تقديره ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ كرر للتأكيد ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ في وجوهِ الناس، أو فيما قدر ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قَطَّبَ[٢] وَجْهَه ﴿وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾ زاد في التَقبُّضِ والكُلوح[٣] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ عن مَقامِهِ وفي مَقالِه[٤] ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا﴾ ما هذا ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ يُروَى عن السَّحَرة. رُويَ أن الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعتُ من من محمد آنِفًا كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لَحلاوةً، وإن عليه لطلاوةً[٥]، وإن أعلاه كمُثمرٌ، وإن أسفله لمُغدقٌ[٦]، وإنه يعلو ولا يُعلَى، فقالت قريشٌ: صَبَأَ[٧] والله الوليد، فقال أبو جهل - وهو ابن أخيه[٨]: أنا أكفيكُموه، فقعد إليه حزينًا وكلَّمه بما أحماهُ، فقام الوليد فأتاهم فقال: تزعمون أن محمدًا مجنون فهل رأيتموه يُخنَقُ[٩]؟ وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهَّنُ[١٠]؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرًا قط؟ وتزعمون أنه كذَّاب فهل جربتم عليه شيئًا من

---

(١) قَبضَ ما بين الحاجبين كفِعل العَبوس.
(٢) الكُلوحُ: بُدُوّ الأسنان عند العُبوس.
(٣) أي: أدبرَ عن مقامِهِ، واستكبَرَ في مَقاله.
(٤) طلاوة بتثليث الطاء: رَوْنَقًا وحُسنًا.
(٥) الغَدَقُ: المطر، والمغدقُ مِفعالٌ منه.
(٦) صَبَأَ: خرج من دينهم إلى دين محمد، وهو الإسلام، وكان كفار قريش يسمون المسلمين الصابئة لخروجهم من عبادة الأوثان إلى دين الإسلام.
(٧) الوليد هو عم أبي جهل،أبو جهل اسمه عمرو بن هشام بن المغيرة.
(٨) كانوا يعتقدون أن الجنَّ تخنِق المجنون.
(٩) كانوا يقولون: الكاهن يتكلم بالمغَيَّبات فيصدق ويكذب، فأما محمد فلم يكذب قَطُّ.
(١٠) مُسيلِمَةُ الكذاب من بني حنيفة من أهل اليمامة، وكان مشهورًا من قبل البعثة بالكهانة

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٣١﴾

الكذب؟ فقالوا في كل ذلك: اللهم لا، ثم قالوا: فما هو؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحرٌ، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلا سحرٌ يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل[1] فارتجَّ النادي فرحًا وتفرقوا متعجبين منه ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥﴾ [ما هذا الذي يتلوه محمد إلا قول البشر، إلا كلام ابن آدم، وما هو بكلام الله].

٢٦- ٢٩- ﴿سَأُصۡلِيهِ﴾ سَأُدخِلُه ﴿سَقَرَ ٢٦﴾ عَلَمٌ لجهنم ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧﴾ تَهويلٌ لشأنها ﴿لَا تُبۡقِي﴾ لا تُبْقي لحمًا ﴿وَلَا تَذَرُ ٢٨﴾ عَظمًا، أو لا تُبقي شيئًا يَبقى فيها إلا أهلكته، ولا تذره هالكًا، بل يعود كما كان ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلۡبَشَرِ ٢٩﴾ جمع بَشَرَة، وهي ظاهِرُ الجلد، أي: مُسَوِّدَةٌ للجلود ومُحرقة لها.

٣٠- ٣١- ﴿عَلَيۡهَا﴾ على سَقَرَ ﴿تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠﴾ يلي أَمْرَها تِسْعَةَ عَشَرَ مَلَكًا عندَ الجمهور، وقيل: صِنفًا منَ الملائكة، وقيلَ: صَفًّا، وقيلَ: نَقيبًا[2] ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ أي: خَزَنَتَها ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ لأنهم خلافُ جِنسِ المُعَذَّبين، فلا تأخُذُهم الرأفةُ والرِّقَةُ، لأنهم أَشدُّ الخَلقِ بأسًا، فللواحد منهم قوةُ الثقلين[3] ﴿وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ﴾ تِسعةَ عَشَرَ ﴿إِلَّا فِتۡنَةٗ﴾ ابتلاءً واختبارًا ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ حتى قال أبو جَهْل لما نزلت ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾: أما يستطيعُ كلُّ عَشَرَة منكم أَن يأخذوا واحدًا منهم وأنتم

والسحر والشعوذة. وأهلُ بابل - وهي في العراق - كان السحر منتشرًا فيهم، قال تعالى ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾.

(١) النقيبُ: العريف، وقيل: الرئيس الأكبر.

(٢) الثقلان: الإنسُ والجن.

(٣) الدّهمُ: الجماعة الكثيرة.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴿٣١﴾﴾

الدَّهْم[1]؟ فقال أبو الأَشَد، وكان شديدَ البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين، فنزلت ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: وما جعلناهم رجالًا من جنسكم يُطاقون. وقالوا في تخصيص الخَزَنةِ بهذا العدد مع أنه لا يُطلَبُ في الأعداد العِلَلُ، أن ستة منهم يقودون الكَفَرَة إلى النار، وستةً يسوقونهم[2]، وستةً يضربونهم بمقامع الحديد، والآخِرُ خازن جهنم، وهو مالكٌ وهو الأكبر، [وقيل غيرُ ذلك] ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ لأن عِدَّتهم تسعة عشر في الكتابين[3]، فإذا سمعوا بمثلها في القرءان أَيقنوا أنه مُنْزَلٌ من الله ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بمحمد ﴿إِيمَٰنًا﴾ لتصديقهم بذلك كما صَدَّقوا سائرَ ما أُنزل، أو يزدادوا يقينًا لموافقة كتابهم كتاب أولئك ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ توكيد للاستيقانِ وزيادةِ الإيمان ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نِفاقٌ ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ المشركون، فإن قلتَ: النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية! قلتُ: معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ وهذا إخبار بما سيكونُ كسائرِ الإخبارات بالغُيوب. ولمَّا كان ذِكرُ هذا العدد (عندهم) في غاية الغرابة، وأن مِثلَهُ حقيق بأن تسير به الركبانُ سيرَها بالأمثال سُميَ مثلًا [أي: ماذا أراد الله بهذا المثل] ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ إشارةٌ إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى، يعني إضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ما

---

(١) القوْدُ: نقيضُ السوق، فالقودُ مِنْ أمام، والسَّوْق من خلف، يقال قادَ الدابة مِن أمامها وساقها من خلفها.

(٢) في الكتابين أن عِدَّةَ زبانية جهنَم تِسعةَ عَشَرَ.

(٣) أي لا يُبْلَغُ كُنْهُها، والكُنْهُ: جوهرُ الشيء وحقيقتُه.

﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ٣٥ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢﴾

قالوا، وهدى المؤمنين بتصديقه ورؤيةِ الحِكمة في ذلك، يُضِلُّ الله من يشاء من عباده وهو الذي علم منه اختيار الضلال ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ وهو الذي عَلِمَ منه اختيارَ الاهتداء، وفيه دليل خلق الأفعال، وَوَصْفِ الله بالهدايةِ والإضلال. لمَّا قال أبو جهل لَعَنَهُ اللهُ: أَمَا لِرَبِّ محمدٍ أعوانٌ إلا تسعةَ عَشَر، نزل: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ لِفَرْطِ كثرتها ﴿إِلَّا هُوَۚ﴾ فلا يَعِزُّ عليه تتميمُ الخَزَنَةِ عشرينَ، ولكن له في هذا العدد الخاصّ حِكمةٌ لا تعلمونَها ﴿وَمَا هِيَ﴾ وما سَقَرُ وصفتُها ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١﴾ تذكرةً للبَشَرِ.

٣٢- ٣٧- ﴿كَلَّا﴾ إنكارٌ بعدَ أن جَعَلَها ذكرى أن تكونَ لهم ذكرى لأنهم لا يَتذكَّرونَ ﴿وَٱلۡقَمَرِ ٣٢﴾ أَقسَمَ به لِعِظَمِ منافعه ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣﴾ وَلَّى وذهبَ ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤﴾ أَضاءَ، وجواب القَسَم ﴿إِنَّهَا﴾ إن سَقَرَ ﴿لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ٣٥﴾ هي جمع الكبرى أي: لإحدى البلايا أو الدَّوَاهي الكُبَرِ ﴿نَذِيرٗا﴾ أي: إنها لإحدى الدواهي إنذارًا ﴿لِّلۡبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ ٣٧﴾ إلى الخَير ﴿أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧﴾ عنه.

٣٨- ٤٢- ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ كل نفس رَهْنٌ بكَسْبها عند الله غيرُ مَفكوك ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩﴾ إلا المسلمينَ فإنهم فكُّوا رقابهم بالطاعة كما يُخَلِّصُ الراهنُ رهنَه بأداء الحق ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ هم في جنات لا يُكْتَنَه وَصْفُها[1] ﴿يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١﴾ يسألُ بعضُهم بعضًا عنهم [وتقديره فيجيبن المسؤولون: سألناهم] ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢﴾ أدخلكم فيها.

---

(١) الرُّفات: الأجزاء المتفتِّتَةُ من كل متكسر، والرُّفات: الدُّقاق.

﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾

٤٣- ٤٧- ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ لم نَعتَقِدْ فَرضِيَّتها ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ كما يُطْعِمُ المُسلمون ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الخَوْضُ: الشروع في الباطل، أي: نقولُ الباطلَ والزُّورَ في ءايات الله ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ الحِسَابِ والجزاءِ ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ الموتُ.

٤٨- ٥٢- ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ منَ الملائكة والنبيينَ والصالحين، لأنها للمؤمنينَ دونَ الكافرين، وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ العِظَةِ، أي: القرءانِ ﴿مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ مُوَلِّينَ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾ أي: حُمُرُ الوَحْشِ ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ شديدةُ النِّفَارِ، ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ القَسْوَرَةُ: الرُّماةُ أو الأُسْدُ، شُبِّهوا في إعراضِهم عن القرءان واستماعِ الذِّكر بحُمُرٍ جَدَّت في نِفارها ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ قراطيسَ تُنشَرُ وَتُقرأُ، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لن نَتَّبِعَك حتى تأتي كلَّ واحدٍ منا بِكُتُب منَ السماء عنوانُها مِن ربِّ العالمين إلى فلانِ بنِ فلان نُؤمَرُ فيها باتباعِكَ، ونحوُهُ قولُه: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الإسراء]، وقيل: قالوا إن كان محمد صادقًا فليُصْبِحْ عند رأسِ كل رَجل منا صحيفةٌ فيها براءتُه وأَمنُه منَ النار.

٥٣- ٥٦- ﴿كَلَّاۖ﴾ رَدعٌ لهم عن تلك الإرادةِ وزجرٌ عن اقتراحِ الآيات، ثم قال: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ فلذلك أَعرضوا عن التذكرة لا لامتناعِ إيتاءِ الصُّحف [فهم لا يؤمنون ولو أُوتوا صحفًا مُنَشَّرة] ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ إن القرءانَ تذكرةٌ بليغة كافية

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ فمن شاء أن يذكرَهُ [ويتَّعِظَ به] ولا ينساهُ فَعَل، فإنَّ نَفْعَ ذلك عائدٌ إليه ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ إلا بمشيئةِ الله [لهم الهُدى] ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ في الحديث: «**هوَ أَهْلٌ أنْ يُتَّقى، وأَهْلٌ أنْ يَغْفِرَ لمنِ اتَّقاهُ**».

سورة القيامة
مكية أربعون ءاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾ أي: أُقسِمُ، عن ابن عباس رضي الله عنه، وعليه الجمهور، وقال الفرَّاءُ: «لا» ردٌّ لإنكار المشركين البعثَ، كأنه قيل: ليسَ الأمرُ كما تزعمون، ثم قيلَ: أُقسم بيومِ القيامة.

٢- ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ الجمهور على أنه قَسَمٌ ءاخر، أي: النفسِ المتقية التي تَلَوَّمُ على التقصير في التقوى.

٣- ٤- ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الكافرُ المنكِرُ للبعث ﴿أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ بعد تفرُّقها ورجوعِها رُفاتًا[1] مختلطًا بالتراب ﴿بَلَىٰ﴾ أي: بَلَى نجمَعُها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ على جَمعِها وإعادتها كما كانت ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ أَصابِعَهُ كما كانت في الدنيا بلا نُقصانٍ وتفاوتٍ مع صِغَرها فكيف بكبار العِظام؟

٥- ٦- ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ ليَدُومَ على فُجوره فيما

(١) يقال في اللغة قرأ بمعنى: جَمَعَ، تقول: قرأتُ الماءَ في الحوض إذا وضعتَ فيه ماء.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ ۝١٨﴾

يَستقبلُه منَ الزمان ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾ مَتَى ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦﴾ سُؤالَ مُتَعَنِّتٍ مستبعِدٍ لقيامِ الساعة.

٧- ١٠- ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ تَحيَّرَ فَزِعًا ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨﴾ وذَهَبَ ضَوؤه، أو غابَ ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ جُمِعَ بينَهما في الطلوعِ مِنَ المَغرب، أو جَمِعَا في ذَهابِ الضَّوْءِ ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ الكافرُ ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾ أي: الفِرار من النار.

١١- ١٣- ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن طلبِ المَفَر ﴿لَا وَزَرَ ۝١١﴾ لا مَلْجَأَ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ خاصَّةً ﴿يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ مُستقَرُّ العبادِ، أو موضعُ قرارِهم من جنةٍ أو نار مفوَّض ذلك لمشيئته، من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ﴾ يُخبر ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ مِنْ عَمَلٍ عمله ﴿وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ ما لَم يَعمَلْه.

١٤- ١٥- ﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤﴾ شاهِدٌ ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ أَرخَى سُتورَهُ، والمِعْذارُ السِّتْرُ، وقيل: ولو جاء بكل مَعذرةٍ ما قُبِلَت منه فعليه مَن يكذّبُ عُذرَهُ.

١٦- ١٩- ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ بالقرءانِ ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ بالقرءانِ، وكان ﷺ يأخذُ في القراءة قبلَ فراغِ جبريلَ كراهَةَ أن يَتفلَّتَ مِنهُ، فقيل له: لا تُحَرِّكْ لسانَكَ بقراءةِ الوَحي ما دامَ جبريلُ يقرأُ لتأخذه على عجلة، ولئَلا يتفلَّتَ منك. ثم علل النهيَ عن العجلةِ بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صَدْرِكَ ﴿وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ وإثباتَ قراءَتِهِ في لسانك، والقرءانُ القراءةُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ﴾ [قال الإمام أبو منصور الماتريدي: أي: جمعناه في

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

قلبك[1] بعدما فرقناه في التنزيل، ويروى تفسيرُ ﴿قَرَأْنَٰهُ﴾ بجمعناه عن ابن عباس رضي الله عنهما] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [فاستمر على قراءته، أو إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به، قاله ابن عباس صلى الله عنهما] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ إذا أشكَلَ عليكَ شيءٌ من معانيه، [أو بيان معانيه وأحكامه وشرائعه].

٢٠- ٢١- ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن إنكار البَعث ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾ كأنه قيل: بَل أَنتُم يا بَني ءادمَ، لأنكم خُلقتم مِن عَجَل[2] وطُبعتم عليه، تَعجَلون في كل شيء، ومِنْ ثَمَّ تُحِبُّونَ العاجلةَ الدنيا وشهواتِها ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ الدارَ الآخرة ونعيمَها فلا تعمَلون لها.

٢٢- ٢٣- ﴿وُجُوهٌ﴾ هي وجوهُ المؤمنين ﴿يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ حَسَنَةٌ ناعمة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ بلا كيفية ولا جهةٍ ولا ثُبوتِ مَسَافةٍ، وحَمْلُ النظر على الانتظار لأَمْرِ رَبِّها أو لثوابِه لا يَصِحُّ، لأنه يقال: نظرتُ فيه أي: تفكَّرت، ونظرتُه: انتظرتُه، ولا يُعَدَّى بإلى إلا بمعنى الرؤيةِ، مع أَنه لا يليقُ الانتظارُ في دارِ القَرار.

٢٤- ٢٥- ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ كالِحَةٌ شديدةُ العُبُوس، وهي وجوهُ الكفار ﴿تَظُنُّ﴾ تتوقَّعُ ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا﴾ فِعْلٌ هوَ في شِدَّتِهِ ﴿فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ داهِيَةٌ تقصِمُ[3] فَقارَ الظهرِ.

---

(١) كقوله تعالى ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الأنبياء]، أي: عجولًا، أي: رُكِّبَت فيه العَجَلةُ، فكأنه خُلِقَ من العَجَل.

(٢) القَصْم: الكَسْرُ الشديدُ مع الإبانة.

(٣) التَّرْقُوَتان: العظمان المُشرِفان بين ثُغْرَةِ النحر والعاتِق من الجانبين.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

٢٦- ٣٠- ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ عن إيثار الدنيا على الآخرة، كأنه قيل: ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطِعُ العاجلةُ عنكم وتنتقلون إلى الآجلة التي تَبْقَونَ فيها مُخَلَّدين ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروحُ ﴿ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ العِظامَ المكتَنِفَةَ لثُغْرَةِ النَّحْرِ عن يمين وشمال، جَمْعُ تَرْقُوَةٍ[1] ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ قال حاضِروا المُحْتَضَر بعضُهم لبعض: أيكم يَرقِيْهِ مما به؟ منَ الرُّقْيَةِ ﴿وَظَنَّ﴾ أيقَنَ المحتَضَرُ ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ أن هذا الذي نَزَلَ به هو فِراقُ الدنيا المَحْبوبة ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ التَوَتْ ساقاهُ عندَ مَوتِه، وعن سعيد بنِ المُسَيَّب: هما ساقاه حين تُلفان في أكفانه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هما همَّان هم الأهل والولد، وهم القدوم على الواحد الصمد ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ مَسَاقُ العبادِ إلى حيثُ أَمَرَ اللهُ، إما إلى الجنةِ أو إلى النارِ.

٣١- ٣٥- ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ بالرسولِ والقُرءان ﴿وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ الإنسانُ[2] في قوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾ ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقرءانِ ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ يَتَبَخْتَرُ[3] ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ بمعنى وَيْلٌ لك وهو دعاءٌ عليه بأن يليَهُ ما يكره ﴿فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ كَرَّرَ للتأكيد، وقيل: وَيْلٌ لك يومَ الموت، وويلٌ لكَ في القبرِ، وويلٌ لك حين البَعثِ، وويل لك في النار.

---

(١) أي: الإنسانُ الكافر الذي مَرَّ ذِكرهُ أكثر من مَرَّة في هذه السورة كقوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾، وقوله تعالى ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾.

(٢) أي: يمشي مِشيةَ المتكبر المعجب بنفسه.

(٣) وهو استفهامٌ على وَجهِ التقريرِ والخَبَرِ، بمعنى قد أَتَى، أي: قد مَضَى، وهو كقولك

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

٣٦- ٤٠- ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ أيحسَبُ الكافر أن يُترك مُهْمَلًا، لا يُؤمَرُ ولا يُنهَى ولا يُبعَثُ ولا يُجازَى ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ أي: يُرَاقُ المنيُّ في الرَّحِم ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ صَارَ المنيُّ قِطعَةَ دَم جامِدٍ بعدَ أربعينَ يومًا ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ فَخَلَقَ اللهُ منه بَشرًا سَويًّا ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ أي: مِنَ المنيّ الصنفين [الذَّكَرُ صِنفٌ، والأُنثى صِنفٌ] ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ أليس [ذلك] الفعَّالُ لهذه الأشياء بقادر على الإعادة، وكان ﷺ إذا قرأها يقول: «**سبحانك بَلَى**» الحديث.

سورة الانسان
مكية وهي إحدى وثلاثون ءاية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴿٣﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ قد مَضَى[1] ﴿عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ ءادمَ عليه السلام ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ أربعونَ سنةً مُصَوَّرًا قبلَ نَفْخِ الروحِ فيه ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ لم يُذكَر اسمُه ولم يُدْرَ ما يُرادُ به لأنه كان طينًا يَمُرُّ بهِ الزمانُ.

٢- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: وَلَدَ ءادمَ، وقيل: الأول ولدُ ءادم أيضًا، و﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ على هذا مدة لُبثه في بطن أمه إلى أن صَار شيئًا مذكورًا بين الناس ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ مِن نُطفةٍ قد امتزَجَ فيها الماءان ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ مريدين ابتلاءه بالأمر والنهي ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ ذا سمع وبصر [يسمع الأصوات ويرى الذَّوات فيستدل بالمخلوقات على الخالق].

٣- ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بيَّنا له طريقَ الهُدى بأَدلة العَقل والسَّمْع

لآخر: هل وعظتُكَ، هل أَعنتُك، وقد وعظتَهُ وأَعنتَه.

(١) وهو طَوْقٌ من حديد يُجعَلُ في العُنق وتُشدُّ به الأيدي إلى العنق بالسِّلْسِلة.

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا ﴿٨﴾﴾

﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ مؤمنًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ كافرًا، أي إن شَكَرَ [وإن] كَفَرَ فقد هديناه السبيل في الحالين [وعَرَّفناه عاقبةَ ذلك].

٤- ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠﴾ جَمْعُ سِلسِلة ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ جَمعُ[١] غُلٍ ﴿وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ نارًا موقدة.

٥- ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمعُ بَرٍّ وهم الصادقونَ في الإيمان ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ خَمْرٍ[٢] فنَفْسُ الخَمرِ تُسمى كأسًا، وقيل الكأس: الزجاجة إذا كان فيها خمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تُمْزَجُ به ﴿كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ ماءَ كافورٍ، وهو اسمُ عَينٍ في الجنة، ماؤها في بياض الكافورِ ورائحتهِ وَبَرْدِهِ.

٦- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ يَلْتَذُّ بها [عبادُ الله] يَمْزُجُون بها شرابهم ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ يُجرونها حيث شاؤوا من منازلهم[٣] ﴿تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ سَهلًا لا يَمتنعُ عليهم.

٧- ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ بما أَوجَبوا على أنفسهم والوفاءُ بالنذر مبالغةٌ في وصفهم بالتَّفُّرِ[٤] على أداء الواجبات، لأن مَنْ وَفَى بما أوجَبَه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه اللهُ عليه أَوْفَى ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ﴾ شَدَائدهُ ﴿مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ منتشرًا.

٨- ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: حُبِّ الطعام مع الاشتهاءِ ﴿مِسْكِينًا﴾ فقيرًا عاجزًا عن الاكتساب ﴿وَيَتِيمًا﴾ صغيرًا لا أب له

---

(١) من خمر الجنة الذي هو غير مُسْكِرٍ وغير نجِس.
(٢) يجعلونها تتبُعُ وتجري حيث شاؤوا ومتى شاؤوا.
(٣) التَّوَفُّزُ على الشيء: صَرفُ الهمة له.
(٤) وهل تكلموا بذلك أو عَلِمَه الله منهم فأثنى عليهم به؟ قولان.

﴿وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ مأسورًا. ثم عللوا إطعامهم فقالوا:

٩- ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي: لطلب ثوابه[1]، أو هو بيانٌ من الله تعالى عما في ضمائرهم لأن الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم وإن لم يقولوا شيئًا ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ هدية على ذلك ﴿وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ ثناءً.

١٠- ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ أي: إنا لا نريد منكم المكافأةَ لِخَوفِ عِقابِ اللهِ على طَلبِ المكافأة بالصَّدَقة، أو إنا نخاف من ربنا فتصدقنا لوجهه حتى نأمنَ من ذلك الخوف ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ وُصِفَ اليومُ بصفةِ أَهلِهِ منَ الأشقياء، والقَمْطَرِيرُ: الشديدُ العُبوسِ الذي يَجمَعُ ما بين عينيه.

١١- ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ صانَهم من شدائده ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أعطاهم بَدلَ عُبوس الكفار ﴿نَضْرَةً﴾ حُسنًا في الوجوه ﴿وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ فرحًا في القلوب.

١٢- ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بِصَبْرِهم على الإيثار ﴿جَنَّةً﴾ بُستانًا فيه مأكَلٌ هَنيءٌ ﴿وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ مَلْبَسًا بهيًّا.

١٣- ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الأَسِرَّة، جَمْعُ الأَريكَة ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ لأنه لا شَمْسَ فيها ولا زَمْهَرِيرَ، فظِلُّها دائمٌ وهَواؤها معتدلٌ، لا حَرَّ شَمْسٍ يُحْمِي، ولا شِدَّةَ بَرْدٍ تؤذي. فالزمهريرُ البَردُ الشديد.

١٤- ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ قَريبةً منهم ظِلالُ أَشجارِها ﴿وَذُلِّلَتْ﴾

---

(١) القِطْفُ: العنقود، وما قُطِفَ من الثمار.

﴿قُطُوفُهَا ذَلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٩﴾﴾

سُخِّرت للقائم والقاعد والمتكىء ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها، جَمْعُ قِطْفٍ[1] ﴿ذَلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [سُهِّلَ اجتناء ثمرها كيف شاؤوا، متكئين وقاعدين وقائمين].

١٥- ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ يُدِيْرُ عليهم خَدَمُهم كُؤوسَ الشَّرَاب، والآنية جمع إناء وهو وعاء الماء ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أي: من فضة، جَمْعُ كوبٍ، وهو إبريقٌ لا عُروَةَ[2] له ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾﴾ أي: كُوِّنَتْ فكانت قواريرَ بتكوينِ الله.

١٦- ﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ أي: مَخلوقةً مِنْ فِضَّة، فهي جامعة لبياض الفضة وحُسْنِها وصَفاءِ القواريرِ وشفيفها، حيث يُرى ما فيها مِنَ الشراب مِنْ خارجها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قواريرُ كل أرض مِن تُربتها، وأرض الجنة فضة ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ أَهلُ الجنةِ قَدَّروها على أشكالٍ مَخصوصة فجاءت كما قَدَّروها تكرِمَةً لهم، أو السُّقاةُ جعلوها على قدر رِيّ شارِبيها، فهي ألذ لهم وأخف عليهم.

١٧- ١٨- ﴿وَيُسْقَوْنَ﴾ أي: الأبرارُ ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿كَأْسًا﴾ خَمْرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا ﴿١٨﴾﴾ في الجنة ﴿تُسَمَّىٰ﴾ تلك العينُ ﴿سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ سُمِّيت العينُ زنجبيلًا لطَعْمِ الزنجبيل فيها - والعَرَبُ تستلذُّهُ وتستطِيبُه - وسَلْسَبيلًا لِسَلاسَةِ انحِدارها في الحلق وسهولةِ مَسَاغِها.

١٩- ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ غِلمَانٌ يُنْشِئُهم اللهُ لِخِدمَة المؤمنين ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾

---

(١) العُرْوَةُ: المَقْبِضُ.

(٢) أي: انتشارهم.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

لا يموتون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لحُسنِهم وَصَفاءِ أَلوانِهم وانبِثَاثِهم[١] في مجالسهم ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [أي متفرقًا بعضُه عن بعض وليس منظومًا بنظم واحد]، وتخصِيصُ المَنْثورِ لأَنه أَزيَنُ في النظر من المنظوم.

٢٠- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ في الجنة، [أي: أينَما نظرت في الجنة] ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ كثيرًا ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ واسعًا، يُروى أَن أَدنى أهلِ الجنة مَنزلةً يَنظُر في مِلكِه مسيرةَ ألفِ عام يَرَى أَقصاهُ كما يَرى أَدناه، وقيل مُلكٌ لا يَعقُبُه هُلْكٌ[٢].

٢١- ﴿عَالِيَهُمْ﴾ أي: يَطوفُ عليهم وِلدانٌ [عليهم] ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ ما يعلوهم من ملابسِهم ثيابُ سُنْدُس[٣] رَقِيقِ الدِّيباجِ ﴿خُضْرٌ﴾ جمعُ أَخضَرَ ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ غليظٌ ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي سورة الحج ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴿٢٣﴾﴾ قال ابن المسيب: لا أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة، واحدة من فضة، وأُخرى من ذهب، وأُخرى من لؤلؤ [وقيل: على التعاقب] ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أُضيف إليه تعالى للتشريف والتخصيص ﴿شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ ليس بِرِجْسٍ[٤] كخَمر الدنيا. يقال لأهل الجنة:

٢٢- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ النعيمَ ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ لأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ محمودًا مقبولًا مرضيًّا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم

---

(١) أي: مُلكٌ دائمٌ لا يزول.
(٢) السندسُ: الحريرُ الرقيق الدِّيباج والإستبرقُ: الغليظُ منه.
(٣) الرِّجْسُ: الشيءُ القَذِرُ.
(٤) أي: طائفةً طويلةً منَ الليل.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

والأسير ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

٢٣- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ ولم يكنْ تنزيلُه مُفَرَّقًا إلا حكمةً وصوابًا، ومِنَ الحكمة الأَمرُ بالمصابَرَة.

٢٤- ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ الرسالة واحتمالِ الأَذِية، وتأخيرِ نُصرتك على أَعدائك مِن أهل مكة ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ منَ الكَفَرة ﴿ءَاثِمًا﴾ راكبًا لِمَا هو إثمٌ داعيًا لك إليه ﴿أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ فاعلًا لِمَا هو كفرٌ، داعيًا لكَ إليه، وقيل: الآثم: عُتبةُ، لأنه كان ركَّابًا للمآثم والفسوق، والكفورُ: الوليد، لأنه كان غاليًا في الكفر والجحود، والظاهر أن المراد كلُّ آثم وكافر، أي: ولا تطع آثمًا ولا كفورًا.

٢٥- ٢٦- ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ صَلِّ لَهُ ﴿بُكْرَةً﴾ صَلاةَ الفَجْرِ ﴿وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ صَلاةَ الظُهرِ والعَصرِ ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ وبعضَ الليلِ فَصَلِّ صلاةَ العِشاءَينِ ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ تَهَجَّدْ له هَزِيعًا[1] طويلًا منَ الليل ثُلُثَيْهِ أو نِصْفَه أو ثُلُثَهُ.

٢٧- ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الكفرةَ ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يُؤثرونَها على الآخرة ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ قدَّامَهم[2]، أو خَلفَ ظهورِهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ شديدًا لا يَعْبَئُون به، وهو القيامة، لأن شدائِدَه تَثقُلُ على الكفار.

٢٨- ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ﴾ أَحْكَمْنا ﴿أَسْرَهُمْ﴾ خَلْقَهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: إذا شِئْنا إهلاكهم أَهلكناهم وبَدَّلنا أَمثالَهم في الخِلقَة مَنْ يُطِيْعُ.

---

(١) الوراءُ مِنَ الأضداد يكون للخلف وللأمام.

(٢) نقل الإمام النسفي عند تفسير هذه الآية قولًا باطلًا عن الزمخشري وقد حذفناه من الاصل

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

٢٩- ٣٠- ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السورةَ ﴿تَذْكِرَةٌ ۖ﴾ عِظَةٌ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ بالتقرُّب إليه بالطاعة له واتِّباع رسولِه ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ اتخاذَ السبيلِ إلى الله ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ[1] ٱللَّهُ ۚ﴾ هو لعُمومِ المشيئة في الطاعة والعِصيانِ والكفر والإيمان، فيكونُ حُجةً لنا على المعتزلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكونُ منهم منَ الأحوال ﴿حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ مُصيبًا في الأقوال والأفعال.

٣١- ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ﴾ هم المؤمنونَ ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾ جَنَّتِه، لأنها بِرَحْمَتِهِ تُنالُ، وهو حُجةٌ على المعتزلة لأنهم يقولون: قد شاءَ أن يُدخِلَ كُلًّا في رَحمته، لأنه شاءَ إيمانَ الكُلِّ، واللهُ تعالى أَخبرَ أنه يُدخِلُ مَن يَشاءُ في رَحمتِه، وهو الذي عَلِمَ منه أَنه يختارُ الهُدى ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرينَ، لأنه وَضَعوا العبادةَ في غيرِ موضِعها ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [أعد لهم في الآخرة عذابًا مؤلمًا، وهو عذاب جهنم].

ولكن نذكره هنا للتحذير منه وهو قوله: «النصب على الظرف، أي إلا وقتَ مشيئة الله» قال شيخنا العبدري رحمه الله: «مشيئة الله لا توقت بل هي ازلية أبدية، والصواب ان يقال ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلا بمشيئة الله.

ونقل أبو حيان في البحر المحيط عن الزمخشري هذا القولَ - أي: الذي نقله النسفي عن الزمخشري - وردّه وقال بعد نقلِهِ له: ونصُّوا على أنه لا يقوم مقام الظرف إلا المصدرُ المصَرَّحُ به كقولك أجيئك صياحَ الديك، ولا يُجيزون أجيئك أن يصيح الديك ولا ما يصيح الديك، فعلى هذا لا يجوز ما قاله الزمخشري.

(١) أي أسرعن لامتثال أوامر الله كالعصف، أي: كعصف الرياح، وهو شدة هبوبها.

سورة المرسلات
مكية وهي خمسون ءاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ٦- ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ أقسَمَ سبحانه وتعالى بطوائفَ مِنَ الملائكة أَرسَلَهُن بأَوامِرِه فَعَصَفْنَ[١] في مُضِيِّهِنَّ، وبطوائفَ منهم نَشَرْنَ أَجنِحَتَهن في الجَو عند انحِطاطِهِنَّ[٢] بالوحي، أو نَشَرْنَ الشرائعَ في الأرض، أو نَشَرْنَ النفوسَ[٣] الموتى بالكفرِ والجَهل بما أُوحَيْنَ، فَفَرَقْنَ بين الحَقِ والباطلِ، فأَلقَيْنَ ذِكرًا[٤] إلى الأنبياء عليهم السلام عذرًا للمُحِقِّين أو نُذْرًا للمُبْطِلِيْنَ[٥]، أي: وعُرْفًا حالٌ أي: متتابعةً [أي: أرسلوا متتابعين يتلو بعضهم بعضًا].

---

(١) أي: هُبوطِهِنَّ.
(٢) أي: أَحيينَ النفوس الميتة بالكفر والجهل بالعلم والدين الذي نزلَ به بالوحي. والنشرُ يأتي بمعنى الإحياء كقوله تعالى ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۝٢٢﴾ [سورة عبس] أي أحياه بعد موته.
(٣) أي: ألقين الوحي الذي نزلن به على الأنبياء.
(٤) أي: ليكون توبةً للذين آمنوا واتبعوا الحق، وإنذارًا للذين استمروا على الباطل.
(٥) أي: نِعمَةِ خلقِكم.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا ۝٢٣﴾

٧- ١٤- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ إن الذي تُوعَدونه مِن مَجيء يوم القيامة ﴿لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ لكائنٌ نازلٌ لا رَيبَ فيه، وهو جواب القسم ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ مُحِيَت، أو ذُهِبَ بِنُورها ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾ فُتِحَت فكانت أبوابًا ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾ قُلِعَت من أماكنها ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١﴾ وُقِّتَتْ، ومعنى توقيتِ الرُّسُلِ: تَبيينُ وَقتِها الذي يُحْضَرونَ فيه للشهادة على أُممهم ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢﴾ أُخِّرَت وأُمْهِلَت، وفيه تعظيمٌ لليوم وتعجيبٌ مِن هَوْلِهِ ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣﴾ بيانٌ ليومِ التأجيلِ، وهو اليومُ الذي يُفصَلُ فيه بين الخلائق، [وجواب إذا محذوف تقديره: وقعَ ما وُعدتم به، أو وقعَ الفصل؛ أي: وقع عندئذ الفصل بين الخلائق والقضاءُ فيأخذ للمظلوم من الظالم، ويُجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤﴾ تعجيبٌ ءاخرُ وتعظيمٌ لأَمرِه.

١٥- ١٩- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ بذلكَ اليومِ ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦﴾ الأُمَمَ الخاليةَ المكذِّبةَ ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝١٧﴾ وَعيدٌ لأَهلِ مكةَ، أي ثُمَّ نَفعلُ بأَمثالهم من الآخِرينَ مِثلَ ما فَعلنا بالأَولين، لأنهم كذبوا مثلَ تكذيبهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مِثلَ ذلك الفعلِ الشنيع ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨﴾ بِكُلِّ مَن أَجرم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩﴾ بما أَوْعَدْنا.

٢٠- ٢٤- ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ حَقِيرٍ، وهو النُّطفةُ [وروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالمهين: الضعيف] ﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الماءَ ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١﴾ مَقَرٍّ يَتَمَكَّن فيه، وهو الرَّحِمُ ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢﴾ مُؤَخَّرًا إلى مِقدارٍ مِنَ الوقت معلوم قد عَلِمَه اللهُ وحَكَم به، وهو تسعة أشهر، أو ما فوقَها، أو ما دونَها ﴿فَقَدَرْنَا﴾ فَقَدَّرْنا

﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

ذلك تقديرًا ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فَنِعْمَ المُقَدِّرون له نحن ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ بنِعْمَةِ الفِطْرَة[1].

٢٥- ٢٨- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾ مِنْ كَفَتَ الشيءَ إذا ضَمَّهُ وجَمَعَه، [أي ضامَّةً] ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ أي: تكفِتُ أحياءًا على ظهرِها وأمواتًا في بطنها[2] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ثوابتَ ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ عالياتٍ ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ عَذْبًا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ بهذهِ النِعَم.

٢٩- ٣٤- ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ يقال للكافرينَ يومَ القيامة: سيروا إلى النار التي كنتم تكذبون بها ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ تكريرٌ للتأكيد ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ دُخانِ جَهنَّمَ ﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾ يَتَشَعَّبُ لِعِظَمِهِ ثلاثَ شُعَبٍ، ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ لا مُظِلٍّ من حَرِّ ذلك اليوم وحَرِّ النار ﴿وَلَا يُغْنِى﴾ وغَيرِ مُغْنٍ لهم ﴿مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ من حَرّ اللهب شيئًا ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النارَ ﴿تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ هو ما تَطايَرَ منَ النار ﴿كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ في العِظَم، ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ جَمْعُ جَمَلٍ ﴿صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ جمعُ أصفرَ، أي: سُوْدٌ تَضرِبُ إلى الصُّفْرَةِ[3]، وشَبَّهَ الشَّرَرَ بالقَصْر لعِظَمِه وارتفاعه، وبالجمالِ للعِظَمِ والطول واللون ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾ بأن هذه صِفَتُها.

٣٥- ٣٧- ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ هذا الذي قُصَّ عليكم واقعٌ

---

(١) أي: تضم الأحياء على ظهرها كما تَضُم الأمواتَ في القبور في بطنها.

(٢) أي جمال سود يشوبن سوادَها صُفرةٌ، والعرب سُمي سودَ الإبل صفرًا لذلك. وقيل الصفرةُ فيها لما في الشرر من النارية.

(٣) هذا تعجيز لهم وتوبيخ.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

يَومَئِذٍ، وسُئل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الزمر] فقال: في ذلك اليوم مواقفُ، في بعضها يختصمون، وفي بعضها لا ينطقون، [وقيل: لا ينطقون إذا قيل لهم: ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة المؤمنون]]. ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في الاعتذار ﴿فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: لا يكون لهم إذنٌ واعتذارٌ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾ بهذا اليوم.

٣٨- ٤٠- ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بينَ المُحِقِّ والمُبْطِلِ، والمُحْسِنِ والمُسِيءِ، بالجَزَاءِ ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾ يا مُكَذِبي محمدٍ ﴿وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ والمُكذبين قَبْلَكم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حِيْلَةٌ في دَفعِ العذاب ﴿فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾ فاحتالوا عليَّ[1] بتَخْليص أنفسِكم منَ العذاب ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ بالبَعث.

٤١- ٤٥- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ من[2] عذاب الله ﴿فِي ظِلَالٍ﴾ جَمعُ ظِلّ ﴿وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ جَارِيَةٍ في الجَنة ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾ لذيذةٍ مُشْتَهاةٍ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: هم مستقرون في ظلال مقولًا لهم ذلك ﴿هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ في الدنيا[3] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ فأَحسِنوا تُجْزَوا بهذا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ بالجنة.

---

(١) أي: المصانين مِن عذاب الله، مِن وَقاهُ الله من كذا أي صَانَهُ، كحديث: **اتَّق النار ولو بشِق تمرة**.

(٢) أي: بسبب ما كنتم تعملون من الخير في الدنياو أو بَدَل ما كنتم تعملون.

(٣) لِئَلا تتحركَ بكم، مِن مادَ يَمِيْدُ إذا تحرك.

﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾

٤٦- ٤٧- ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ﴾ خطابٌ للمكذبينَ في الدنيا على وَجْهِ التهديدِ ﴿قَلِيلًا﴾ لأن متاعَ الدنيا قليلٌ ﴿إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦﴾ كافرون، أي: إنَّ كلَّ مُجرم يأكلُ ويتمتَّعُ أيامًا قلائلَ ثم يَبْقَى في الهلاكِ الدائم ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧﴾ بالنعم.

٤٨- ٥٠- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ﴾ اخشَعوا للهِ وتواضعوا إليه بقَبولِ وَحْيِهِ واتِّبَاعِ دِينِهِ، ودَعُوا هذا الاستكبارَ ﴿لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨﴾ لا يَخشَعون، ولا يقبَلون ذلك، ويُصِرُّون على استكبارهم، أو إذا قيل لهم: صَلُّوا لا يُصلون، [أي: في الدنيا] ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩﴾ بالأَمر والنهي ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ﴾ بعدَ القرءانِ ﴿يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾ أي: إن لم يُؤمنوا بالقرءانِ، مع أَنه ءايةٌ مُبْصَرَةٌ، ومعجزةٌ باهِرَة من بين الكُتبِ السماوية، فبأي كتاب بعده يؤمنون؟.